قضية النبوة بين الرافضين والمدافعين

د/ صفيــة العـدوى خليـل

أستاذ مساعد بكلية الآداب

جامعة بنى سويف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمـــة

تعد النبوة[*] ركيزة أساسية فى الأديان السماوية، لأنها هى الأســـاس الـــذى عـــن طريقه يعرف الله تعالى عباده بدينه وشريعته، ذلك أنه سبحانه يصطفى عبداً مـــن عبـــاده ويختصه بالنبوة والرسالة[**]، ويوحى إليه بتعاليم دينه ليبلغها لأمته ولمن أرسل إليهم[١].

وقد يعتمد كل دين سماوى على الوحى والإلهام، فمنهما صدر، وعلـــى تعاليمهمـــا تأسست قواعده وأركانه. فالنبي[***] ما هو إلا بشر مُنح القـــدرة علـــى الاتـــصال بـــالله

(*) النبوة: مأخوذة من النبأ أى الخبر، قـــال تعـــالى ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ** ﴾ النبـــأ/ ١-٢. وفـــى الاصطلاح الشرعى اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحى إليه. (انظر المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٥٩٨. و انظر د. عبد الرحمن حنبكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، دار القلم- دمشق، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م ص٢٩٧).

(**) الرسالة: فى اللغة هى التوجيه بأمر ما. وفى الاصطلاح الشرعى هى تكليف الله نبياً من أنبيائـــه بتبليـــغ شريعته للناس. فالاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة، فلا يتم الاصطفاء بالرسالة إلا لمن يتم اصطفاؤه بالنبوة أى بالوحى إليه، فإن كلاً من النبوة والرسالة فيض إلهى واصطفاء ربانى، وإن أياً منهما لا يكون أمراً يكتسب اكتساباً بالاجتهاد، والرياضة، ولابالدراسة والبحث وهـــذا هـــو معنـــى الاصـــطفاء والاجتهاد. (انظر د. عبد الرحمن حنبكة الميدانى: المرجع السابق ص ٢٩٨ – ٣٠٠).

(١) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، مكتبة الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥.

(***) الفرق بين النبى والرسول: النبى هو عبد من عباد الله الصالحين اختاره الله واصطفاه من بيـــنهم وكرمـــه وأحاطه بهديه وتوفيقه ليكون مثالاً حياً على الإنسان الصالح والإيجابى الذى يرضى عنه الله، ويكلف بأمر إلهى لكى يهدى من حوله من الناس، من عشيرة أو أناس معينين اختارهم الله لتتم دعوتهم إلـــى الهدايـــة، والنبى لا يشترط فيه أن يكون مدعماً بكتاب سماوى من الله ، كما هو الحال فى التوراة، والإنجيل، الزبور، والقرآن. **أما الرسول**: فهو من أوحى إليه بشرع وأمره بتبليغه والعمل به. فالرسول هو النبى المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه، وقد جاء ومعه وحى بكلام الله سواءً أكان قرآناً أم زبوراً أم إنجيلاً أم توراة . انظر : الفرق بين النبى والرسول. www.mawdoo3.com.

https://saaid.net.

ويبين الله لنا اصطفاءه الرسل من الملائكة ومن الناس، أما الرسل من الملائكة فيرسلهم للأنبياء من الناس، وأما الرسل من الناس فيرسلهم إلى أممهم فيقول تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ الحج/ ٧٥. (انظر د. عبد الرحمن حبنكة الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها ص٢٩٩). فكل رسول نبى، وليس كل نبى رسولاً، والأنبياء أكثر من الرسل وقد قص الله بعض الرسل فى القرآن، ولـــم يقصص البعض الآخر، فيقول: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ غافر/ ٧٨. انظر :

www.islamway.net.

الفرق بين النبي والرسول . www.awqaf.gov.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتعبير عن إرادته، فلا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، ولا يروى خبراً إلا وهو تنزيل من حكيم حميد، ولا يقضى بقضاء إلا وهو ينفذ إرادة الله، والإسلام ككل الديانات السامية الكبرى يستمد قوته من السماء، فعقائده وقوانينه مأخوذة من الكتاب والسنة اللذين هما وحى مباشر أو غير مباشر، فمن ينكر الوحى يرفض الإسلام فى جملته، أو يهاجمه على الأقل فى أساسه ويهدم دعائمه الأولى والرئيسة[1].

ولهذا تعتبر قضية النبوة من العقائد الأساسية فى الأديان السماوية عامة، ولا يتحقق الإيمان بدون التصديق بالنبوة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل لا يكون الدين ديناً سماوياً بدون نبى أو رسول يتلقى من الله دينه وشرعه، ثم يقوم بدور التبليغ لأتباعه، فالنبوة مصدر الدين وأساسه. ومن هنا فإن كثيراً من أصحاب الاتجاهات المعادية للأديان السماوية قد وجهوا نشاطهم إلى التشكيك فى النبوة باعتبارها مصدراً لهذه الأديان. وقد ظهرت نزعة التشكيك والإنكار للنبوة فى تاريخ الإنسانية مبكراً، فقد سجل القرآن الكريم موقف المكذبين فى كل أمة لنبيهم منذ نوح (عليه السلام)، ثم اتخذت شكلاً جديداً على يد البراهمة من الهند وغيرهم من منكرى النبوة، الذين حاولوا أن يقدموا الحجج والأسانيد العقلية التى تدعم هذه النزعة. ومن هنا فقد سارع المتكلمون وفلاسفة الإسلام للدفاع عن النبوة ، حفاظاً من ناحية على عقيدتهم ، وتأكيداً لدورهم فى التصدى للأفكار الهدامة من ناحية أخرى[2].

فإن سيدنا محمد (ﷺ) هو خاتم الأنبياء والرسل جميعاً، فلا نبى ولا رسول بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فيقول تعالى: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾ الأحزاب/ ٤٠. وإذا كان الرسول (ﷺ) هو خاتم الأنبياء، فمن باب أحرى أن يكون خاتم الرسل لأن النبى أعم من الرسول. انظر:
الفرق بين البنى والرسول. fatwa.islamweb.net.
أما " القاضى عبد الجبار " (ت ٤١٥هـ) وهو من أشهر رجال المعتزلة فيقول: إنه لا فرق فى الاصطلاح بين الرسول والنبى، وإن الذى يدل على اتفاق الكلمتين فى المعنى هو أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً فى الاستعمال. أما استدلال البعض بالآية الكريمة ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ الحج/ ٥٢، ألا ترى أن الله تعالى قد فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء، وهذا الفصل لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء، وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان، ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ الرحمن/ ٦٨-٦٩ كذلك هنا. (انظر القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم، تحقيق وتقديم د. عبد الكريم عثمان، ط٢، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ١٤٠٨ه - ١٩٨٨م ص٥٦٧، ٥٦٨).

(١) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م ص٦٩.

(٢) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص٣، ٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا فليس من شك أن الاعتقاد بالنبوة والتسليم بها يعد دعامة من دعامات الدين الإسلامى، فعليها تأسس، وبها نقلت تعاليمه من السماء إلى الأرض، وإنكارها أو الطعن فيها كبيرة من الكبائر التى تخرج صاحبها عن حد الإيمان إلى حد الكفر. فإذا شاء فيلسوف ما أن تقبل فلسفته فى البيئة الإسلامية، فلابد له من أن يفسح مجالاً لتفسير النبوة والدفاع عنها ضد منكريها. ومن هنا أقبل فلاسفة الإسلام عليها يفسرونها ويوضحونها، فكونوا بذلك نظرية فى النبوة، تعد من أهم المحاولات التى بذلها هؤلاء للتوفيق بين الوحى والعقل أو بين الفلسفة والدين(١).

وهدفنا من هذا البحث هو إلقاء الضوء على موقف المدافعين من المتكلمين وفلاسفة الإسلام اللذين أرادوا أن يثبتوا أن النبوة والبعثة لابد أن تكون لطفاً ورحمة للمكلفين ، ولا يمكن أن يكتفى الإنسان بعقله لمعرفة ما شرعه الله ، مؤكدين استحالة استغناء العقل عن النبوة.

وسوف تتحدد إشكالية البحث فى التركيز على الجهود والردود التى بذلها هؤلاء المدافعون بالحجج والأدلة العقلية والشرعية مبينين بطلان حجج الرافضين للنبوة وفساد تصورهم ، الذين يعتبرون أصحاب النزعة العقلية المتطرفة والأفكار الهدامة ، موضحين ومؤكدين صدق النبوة بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم .

المنهج المتبع:

لتحقيق أهداف البحث يمكننا الاستعانة بمنهجين: المنهج التحليلى، والمنهج النقدى، باعتبارهما أكثر المناهج التى يمكن أن تتفق مع طبيعة هذا البحث، ومعولين على النصوص الفلسفية، ومستندين إلى النصوص القرآنية التى تعد أقوى دليل لإثبات واستنباط ما يستخلص من آراء.

موقف الرافضين للنبوة وحججهم:

تعتبر نزعة الإنكار للنبوة نزعة قديمة فى البشرية تردد صداها منذ فجر التاريخ، وظهرت ملامحها فى كل أمة بعث الله تعالى فيها رسولاً. وقد قص القرآن الكريم علينا فى هذا الكثير، وأشار إلى المنكرين فى كل أمة الذين كانوا يكذبون بنبيهم أو رسولهم، ويستبعدون عليه اتصاله بالعالم الإلهى وتلقيه الوحى ويقولون له: ﴿ **مَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾الشعراء/ ١٥٤. ومن ذلك ما حكاه عن المنكرين المكذبين من قوم نوح الذين قالوا له:

---

(١) د. محمد صالح السيد: فلاسفة الإسلام، د. ت، ص١١٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿**مَا نَرَاكَ إِلا بَشَراً مِثْلَنَا**﴾ هود/ ٢٧. وقالوا له أيضًا: ﴿ **يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ هود/ ٣٢. وما حكاه عن المنكرين من عاد قوم هود الذين قالوا له: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ الأعراف/ ٦٦. وقالوا له أيضاً: ﴿ **يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ هود/ ٥٣. وما حكاه عن المنكرين من مدين قوم شعيب الذين قالوا له: ﴿ **لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ الأعراف/ ٨٨. وقالوا له أيضاً: ﴿**يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾ هود/ ٩١. وقد رد الله على المشركين الذين استبعدوا أن يكون الرسول بشراً بقوله: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً**﴾ الإسراء/ ٩٥[١].

ولهذا أثيرت مشكلة الوحى فى العالم العربى منذ بدأ النبى (ﷺ) دعوته، فكفار قريش ما كانوا يريدون أن يقبلوا أن محمدًا بن عبد الله ينزل عليه وحى سماوى، واستبعدوا عليه كل البعد أن يتصل بالعالم الإلهى، وهو بشر مثلهم يأكل ويشرب ويتردد إلى الأسواق وقالوا: ﴿**مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**﴾ الفرقان/ ٧. بيد أن معجزاته بهرتهم، وفصاحته أفحمتهم، وهم أهل القول واللسان وزعماء البلاغة والبيان، فأخذوا يتهمونه تارة بالسحر والشعوذة، وأخرى بالكهانة والتنجيم. ولم يكن من الجواب على هذه الدعاوى الباطلة والاتهامات القاسية إلا أن يردد قول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ الكهف/١١٠. وقوله تعالى: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَراً رَسُولاً**﴾ الإسراء/ ٩٣. فهو لا يجئ بشيء من عنده ولا يفترى عليهم الكذب إنما يبلغ رسالة الله كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ المائدة/ ٦٧[٢].

لقد احتوى القرآن الكريم على ذكر العقائد والمذاهب والأديان المخالفة للإسلام ومنكرى النبوة مما دعا المتكلمين إلى دراسة الأديان المخالفة للرد عليها. فإن المتكلمين قد وجدوا فى القرآن الكريم نموذجاً يمكن أن يحتذى به فى هذا الصدد. ومن الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر العقائد والمذاهب المخالفة للإسلام ومنكرى النبوة قوله تعالى: ﴿**إِنَّ**

---

(١) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص١٢، ١٣.

(٢) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١ ص٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحج/ ١٧. [١]

كما ذكر القرآن الكريم الرد على هذه الديانات والعقائد المخالفة للإسلام ومنكرى النبوة، على نحو رده على الدهرية الذين قالوا: ﴿ **مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ**﴾ الجاثية/ ٢٤. وكما ورد فى القرآن الكريم الرد على عبدة الكواكب كالصابئة فى نحو قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾ الأنعام/ ٧٦. ورد على منكرى النبوات بمثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً**﴾ الإسراء/ ٩٤[٢].

وسوف نشير إلى بعض نماذج منكرى النبوة والرافضين لها:

المانوية والمزدكية ورفضهم للنبوة:

المانوية والمزدكية: أهم ديانتين فى فارس؛ فالمانوية نسبة إلى مانى بن فاتك ولد حوالى سنة ٢١٥هـ، ودرس الأديان الفارسية القديمة وبخاصة الزرادشتية. ويذكر ابن النديم ما ذكر أصحاب مانى من أساطير حول ولادته، وما أحاطوها من الأساطير ليضفوا على ولادته نوعاً من القداسة[٣]. وكان يقول بنبوة المسيح (عليه السلام)، ولا يقول بنبوة موسى(عليه السلام)[٤]. والمزدكية نسبة إلى مزدك الفارسى من نيسابور، ولد فى أواخر القرن الخامس عام٤٨٧هـ والذى يقول إن النور عالم حساس، والظلام جاهل أعمى[٥].

فالمانوية والمزدكية ذهبا إلى أن العالم مركب من أصلين قديمين هما النور والظلمة، وبدءا وأنصارهما من زنادقة العرب فى القرن الثانى للهجرة ينشرون دعوة

---

(١) د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م ص٧٦- ٧٧. وانظر د. أبو الوفا التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م ، ص٧- ٨.

(٢) د. أبو الوفا التفتازاني: المرجع السابق ، ص٨. وانظر: د. محمد صالح السيد: المرجع السابق ، ص٧٧- ٧٨.

(٣) ابن النديم : الفهرست، المطبعة المحمدية، القاهرة، ١٣٤٨ه، ص٤٥٦- ٤٥٨. وانظر د. على عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل .. ودراسة) ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥ه- ١٩٩٥م ، ص٦٤. وانظر د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام ، ص١٤٦ ، هامش (٩٢).

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، ج١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٠ه- ١٩٨٠م ، ص٢٤٤.

(٥) الشهرستاني: المصدر السابق ص٢٤٩. وانظر د. محمد صالح: المرجع السابق، ص١٤٧ هامش (٩٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التثنية ويهدمون فكرة التوحيد التى قام عليها الإسلام، وكلنا يعلم خبر بشار بن برد، وصالح بن عبدالقدوس الثنويين اللذين كانت لهما مجالس خاصة تذاع فيها الآراء المزدكية والمانوية، فقد أخذوا ينادون بتناسخ الأرواح، وينكرون النبوة والأنبياء، ولا يرون حاجة البشر إليهم. فقد آثار كلامهم جدلاً كبيراً لأنهم قد اعتمدوا على العقل وقالوا إن الرسل والأنبياء لا فائدة منهم، ولا حاجة لهم لأن الله عز وجل وهب الإنسان العقل، فنجد أنهم اعتمدوا على العقل، وقالوا بأن العقل هو الذى يميز بين الخير والشر، وقد ضربوا أمثلة كثيرة على هذا، فقالوا بأن الإنسان إذا مد يده فى الماء فهذا خير، أما إذا مد يده فى النار فهذا شر، فكان قولهم لا حاجة ولا سبيل للرسل طالما يوجد عقل، ولهذا يرون أنه لا حاجة للأنبياء والنبوة[1].

البراهمة والدهرية وإنكارهم بعث الرسل:

يذكر "ابن حزم" (٣٨٤- ٤٥٦هـ) أن البراهمة هم قبيلة بالهند وهم يقولون بالتوحيد، إلا أنهم أنكروا النبوات[2]. ويقسمهم الباقلانى (ت٤٠٣هـ) إلى فرقتين: فمنهم قوم أنكروا النبوة مطلقاً وزعموا أنه لايجوز فى حكمة البارى وصفته أن يبعث رسولاً إلى خلقه. والفريق الآخر قال بنبوة آدم (عليه السلام) فقط، وإن الله ما أرسل رسولاً إلى خلقه سوى آدم، وكذبوا كل مدعٍ للنبوة سواه. وقال قوم منهم بنبوة إبراهيم (عليه السلام)، بل ما بعث الله غير إبراهيم وحده، وأنكروا نبوة من سواه[3].

ومن أهم عقائد البراهمة هو القول بتناسخ الأرواح، والتناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضى فى جسم آخر. وسبب هذا التناسخ هو أن الروح التى خرجت من الجسم لا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادى لم تتحقق بعد، فلا مناص إذن من أن تستوفى شهواتها فى حيوانات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها

---

(١) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١، ص ٧٨- ٧٩. وانظر أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٧ه ص١٥٧. وانظر البغدادي: الفرق بين الفرق، ط١، دار الآفاق الحديثة، بيروت، ١٣٩٣- ١٩٧٣م ص٢٧١. وانظر د. فيصل بدير عون: علم الكلام ومدارسه، مكتبة سعيد رأفت للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٧م ص٥- ٦.

(٢) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج١، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان- ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م ، ص٦٩.

(٣) الباقلاني: التمهيد (فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) تحقيق الأب رتشرد مكارسى اليسوعى، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧ م ، ص١٠٤. وانظر د. على عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل .. ودراسة) ص٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التى قامت بها فى حياتها السابقة. والتناسخ يعنى خلود الروح وأيضاً حسابها على ما قدمت، لكن الحساب عند البراهمة يتم على الأرض فى هذه الحياة الدنيا، وليس فى الآخرة كما تقول الأديان السماوية، فالأرض عندهم دار جزاء وثواب، وعلى هذا فالبراهمة ينكرون النبوات، ويقولون بتناسخ الأرواح، وفى هذا إنكار للثواب والعقاب فى الآخرة(١).

فقد بدا للبراهمة أن الله أكمل العقول وحسن فيها الحسن، وقبح فيها القبيح، وجعلها دلالة على مراشد الخلق ومصالحهم، ومنع بها من التظالم وجعلها دلالة وذريعة إلى كل ما يحتاج إليه(٢). وبالطبع فإن مضمون النبوة عندهم لم يخل إما أن يكون مدركاً بالعقول أو غير مدرك بها، فإن كان الأول فلا حاجة إلى الرسول، بل النبوة تكون عبثاً، وإن كان الثانى فما يأتى لا يكون مقبولاً، لكونه غير معقول، فالبعثة على كل حال لا تفيد(٣). وهكذا فالنبوة طبقاً للبراهمة ممتنعة ومحالة تماماً على قانون العقل الإنسانى، ولهذا فإن حدود الديانة البرهمية لاتتسع لأى وحى أو نبوة. فإن التصور البرهمى للألوهية شاملة لكل شيء ومتغلغلة فى كل شيء، مما يؤدى إلى أنه لا انفصال البتة بين العقل الكلى (الله) وبين العقل الجزئى (الإنسان)، بل ثمة وحدة كونية تفنى فيها الجزيئات المتناهية فى جوف الكلى أو الألوهية الشاملة، ومن ثم تنتفى النبوة عندهم(٤).

وعلى هذا فإن البراهمة ممن أنكروا النبوة عامة، وهؤلاء أخذوا ينادون بهذه الفكرة ويعملون على نشرها بين المسلمين بهدف التشكيك فى النبوة والوحى، لأنهم إذا نجحوا فى ذلك استطاعوا أن ينقضوا الأديان السماوية من أساسها، وقد كان لهذه الأفكار الهدامة أثر فى قلة من المسلمين الذين لم يتغلغل الإيمان فى قلوبهم، فتنخدع به نفوسهم المريضة(٥).

أما الدهرية فهى ديانة من ديانات الفرس القديمة جعلوا الدهر هو المبدأ الأسمى عندهم، فهو عندهم عين القدر، والذين يقولون بقدم الدهر. وهى ديانة مخالفة للإسلام، فقد

---

(١) د. على عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ص٦٣، ٦٤. وانظر: د. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، نهضة مصر، ١٩٧٤م ، ص٦٧- ٦٩.

(٢) الباقلانى: التمهيد ص١٢١.

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٥١. وانظر : سيف الدين الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبداللطيف، ط١، نشرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١ ه- ١٩٧١م ، ص٣٢٠.

(٤) د. على مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص١٩٦ هامش (١٣٠).

(٥) د. عبد المقصود عبد الغني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنكروا النبوة، وأنكروا الخالق وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً. وقد رد القرآن على الديانات والعقائد المخالفة للإسلام على نحو رده على الدهرية الذين قالوا : ﴿ **مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ**﴾ الجاثية/ ٢٤، وكانت عقيدتهم تقوم على نزعة شكية سادت بين معتنقيه، وحالت بينهم وبين الإيمان بالخلق والخالق، فأنكروا الصانع المدبر للعالم زاعمين أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه[١].

الزرادشتية والصابئة وإنكارهم للنبوة:

الزرادشتية أهم ديانة فى فارس كانوا يميلون إلى عبادة مظاهر الطبيعة كالشمس والنار والهواء والماء. فالزرادشتية نسبة إلى زرادشت الذى عاش فى القرن السابع قبل الميلاد، ومات ما يقرب من ٥٨٣ ق.م. ولقد كانت تعاليم زرادشت تعتمد على أمرين:

١- إن لهذا العالم قانوناً يسير عليه، وإن هذه القوانين الطبيعية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

٢- إن العالم يسير على صراع ونزاع وصدام بين قوتين، قوة الخير وقوة الشر، وأراد أن يوحد العبادات كلها فى قوتين، قوة الخير وقوة الشر، وأن الإنسان شأنه مثل باقى الموجودات مركب من النور والظلمة، وفى رأيه أن العقل بمثابة النور فى الإنسان، وأن الجسم أو البدن بمثابة الظلمة[٢].

ويذكر "الشهرستاني" (ت ٥٤٨هـ) أن الزرادشتية فرقة من فرق المجوس، والمجوس ثلاث فرق وهى الكيومرثية والزروانية والزرادشتية. وذكر أن المجوس إنما يعظمون النار لمعانٍ منها: إنها جوهر شريف علوى، ومنها إنها ما أحرقت إبراهيم (عليه السلام)، ومنها ظنهم أن التعظيم ينجيهم فى المعاد من عذاب النار[٣].

وذكر "ابن الجوزي" أن مما سنه زرادشت لأتباعه عبادة النار[٤]. والواقع أن للنار شأناً كبيراً فى الديانة الزرادشتية، لكن ينكر أتباع زرادشت الموجودون حتى الآن أنهم يعبدون النار. والحق أنهم يجعلون للنار المكان الأسمى فى احتفالاتهم وطقوسهم الدينية

---

(١) الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالى (الحكمة فى مخلوقات الله عزوجل، معراج السالكين) ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م ، ص٣٥. وانظر : د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام ص٧٧، ٧٨. وانظر أيضاً : د. على عبدالفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة)، ص١٤.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١ ، ص٢٣٧ . وانظر: د. فيصل بدير عون: علم الكلام ومدارسه ، ص٥.

(٣) الشهرستاني: المصدر السابق ، ص٢٣٣- ٢٣٩.

(٤) ابن الجوزى: تلبيس إبليس، دار الكتب العلمية- بيروت ، ص٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهى رمز للعبادة[١].

ومما نص عليه زرادشت أن للعالم قوة إلهية هى المدبرة لجميع ما فى العالم، وهذه القوة تسمى على لسان الصابئة: المدبر الأقرب، وعلى لسان الفلاسفة: العقل الفعال، ومنه الفيض الإلهى والعناية الربانية، وعلى لسان المانوية: الأرواح الطيبة، وعلى لسان العرب: الملائكة، وعلى لسان الشرع والكتاب الإلهي: الروح بمثل قوله تعالى: ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا** ﴾ القدر/٥[٢]. وعن الديانة الزرادشتية ذكر "الشهرستاني" أن زرادشت قد دعا إلى عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واجتناب الخبائث[٣].

أما عن دعواهم للنبوة فقد قيل إن الزروانية عاصرت النبى سليمان بن داود، وإنها قاومته مقاومة عنيفة. وقد قال المجوس فى دعواهم إن كيومرث هو آدم (عليه السلام) فهو أبو البشر، وقد أقروا بنبوة زرادشت وأنه آخر الرسل. ولهذا فقد كفر أهل السنة كل متنبئ أى مدعى النبوة سواء أكان قبل الإسلام كزرادشت وكيومرث وغيرهما مما يدعون النبوة، أو بعد الإسلام. وقال أهل السنة إن أول الرسل وأبًا لجميع البشر هو آدم(عليه السلام)، وآخرهم محمد (ﷺ)، وإن هذه الفرق تخالف مبادئ الإسلام وتعارضه، ولهذا فهى خارجة عن دين الإسلام[٤].

أما **الصابئة** فيرى "الشهرستاني" أن المعنى اللغوى لكلمة الصابئين يعنى الزيغ عن سنن الحق، ففى اللغة صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم الصابئة. وقد يقال صبأ الرجل إذا عشق وهوى، وهم يقولون الصبوة هى الانحلال عن قيد الرجال[٥]. وهذه المعانى تفيد خروج هؤلاء عن دين الحق، واتباعهم الميل والهوى، والصابئة موجودة منذ عهد قديم قبل الإسلام. وعلى هذا فالصابئة يقولون إن مدبر هذا العالم وخالقه الكواكب السبعة والنجوم، وهذا ما ذكره "فخر

---

(١) د. على عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة) ص٦٩.
(٢) الشهرستاني: الملل والمحل، ج١ ص٢٤٣.
(٣) المصدر السابق ص٢٣٧.
(٤) المصدر السابق ، ص٢٣٣، ٢٣٩. وانظر د. على عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص٦٨، ٧١. وانظر د. على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج١، ط٢، دار المعارف، مصر ، ١٩٧١م ، ص١٩٠.
(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢ ، ص٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدين الرازي" عنهم، وذكر أنهم عبدة الكواكب[١].

ومن أهم عقائد الصابئة هى تناسخ الأرواح وإنكار النبوة، وهم يقولون كما ذكر "الشهرستاني" فى "الملل والنحل" الصابئة قالوا: الأنبياء أمثالنا فى النوع، وأشكالنا فى الصورة، يشاركوننا فى المادة، يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويساهموننا فى الصورة، أناس بشر مثلنا، فمن أين طاعتهم؟ وبأية مزية لهم لزمت متابعتهم؟ ﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ**﴾ المؤمنون/٣٤ . فهم ينكرون النبوة ويرون أنه لا حاجة للأنبياء[٢]. ويقول الصابئة أيضاً: "إنا نحتاج فى معرفة الله تعالى، ومعرفة طاعته وأوامره، وأحكامه إلى متوسط، ولكن هذا المتوسط يجب أن يكون روحانياً لا جسمانياً، وذلك لذكاء الروحانيات وطهارتها، وقربها من رب الأرباب، والجسمانى بشر مثلنا[٣].

ولهذا فقد ورد فى القرآن الكريم الرد على عبدة الكواكب كالصابئة فى نحو قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾ الأنعام/ ٧٦. كما رد على منكرى النبوات، ومنكرى البعث، ورد أيضاً على أصحاب الديانات اليهودية والمسيحية مما أنكروا البعث والنبوة. فمن الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر العقائد والمذاهب والأديان المخالفة للإسلام قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ الحج/ ١٧[٤].

اليهود والنصارى وموقفهم من النبوة:

لقد نشط اليهود والنصارى فى محاربة الإسلام والكيد له، فاليهود صرحوا بأفكارهم فى الرجعة، والتشبيه، وخلق التوراة، وإنكار النسخ، ونبوة نبينا محمد (ﷺ). والنصارى نشروا أفكارهم فى التثليث، والأقانيم، والصلب، والفداء، وإنكار نبوة محمد (ﷺ) وعملوا على إثارة الجدل حول هذه الأفكار[٥].

---

(١) فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ص١٤٣. وانظر د. على عبدالفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة) ، ص٦٠، ٦٢.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢ ، ص٧.

(٣) المصدر السابق، ج١ ، ص٢٣٠.

(٤) د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام ، ص٧٧، ٧٨.

(٥) د. عبد المقصود عبد الغني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاليهود: هم أمة موسى (عليه السلام)، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أما ما أنزل على الأنبياء السابقين على موسى فلا يسمى كتاباً بل صحفاً . وقد تحدث القرآن الكريم عن العقيدة والأنبياء كما وردت فى التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى، وهذه العقيدة تتفق مع عقيدة التوحيد التى جاء بها الإسلام، فعن التوحيد واليوم الآخر والحساب يقول الله تعالى مخاطباً موسى: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾ طه/١٤-١٦[١].

فقد قابل الإسلام اليهود فى الحجاز، والتقى الإسلام باليهود، واختلفوا منذ البداية فى نقاط كثيرة كانت موضع نقاش وجدال بين الفريقين منها:

- إنكار اليهود لنبوة محمد (ﷺ)، ونبوة عيسى (عليه السلام)، فقد ذهبوا إلى أن الدين لبنى إسرائيل فقط، وليس ثمة أنبياء، وكانت هذه من أول وأهم نقاط الجدال بين المسلمين واليهود .
- إنكار اليهود للنسخ وقالوا إن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وهى ابتدأت بموسى (عليه السلام)، ولا تكون بعده شريعة أخرى[٢].

ويذكر القرآن أن بنى إسرائيل ثاروا فى وجه أنبيائهم، ورفضوا الاستجابة لهم، وطرحوا العقيدة التى جاء بها هؤلاء الأنبياء،، ثم هاجموا الأنبياء، واستبد بهم الضلال والجحود فأنكروا البعث، ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء. وقد ورد ذلك فى القرآن فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ البقرة/ ٦١. وذكر القرآن أن اليهود قد أهملوا بعض التوراة وأنهم حرفوا بعضاً منها بقوله تعالى: ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ المائدة/١٣[٣].

فاليهود ينكرون نبوة محمد (ﷺ)، وحرفوا ما ورد فى التوراة من دلالات على نبوته

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ . وانظر د. على عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة)، ص٧٣.

(٢) الشهرستاني: المصدر السابق، ج١ ، ص٢١١. وانظر د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام ص١١٣.

(٣) د. على عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق ، ص٧٤، ٧٥. وانظر د. أحمد شلبي: اليهودية، نهضة مصر، ١٩٨٤م، ص١٤٦- ١٤٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقول "الشهرستاني": "واعلم أن التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة نبينا محمد (ﷺ) حقاً، وكون صاحب الشريعة صادقاً، لكنهم حرفوه وغيروه وبدلوه، إما تحريفاً من حيث الكتابة والصورة، وإما تحريفاً من حيث التفسير والتأويل. وأظهرها ذكر إبراهيم (عليه السلام) وابنه إسماعيل ودعاؤه فى حقه، وفى حق ذريته، وإجابة الرب تعالى إياه، إنى باركت على إسماعيل وأولاده، وجعلت فيهم الخير كله، وسأظهرها على الأمم كلها، وسأبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتي. واليهود معترفون بهذه القضية، إلا أنهم يقولون: إجابة بالملك دون النبوة والرسالة"(١). ولهذا فقد كان وراء إنكار نبوة محمد(ﷺ) تعصب اليهود، حيث إنهم أنكروا أن يكون النبى المنتظر من غيرهم(٢).

أما النصارى فهم أمة عيسى ابن مريم رسول الله، وقد بعث الله عيسى (عليه السلام) بعد موسى، وبشرت به التوراة. فقد تحدث القرآن عن معجزات عيسى(عليه السلام)، حيث بعثه الله وأيده بمعجزات خارقة ذكرها القرآن كخلق طير من طين، وإبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الموتى، والإنباء بما هو مجهول من طعامهم ومدخراتهم.. وإنزال المائدة من السماء التي طلبها الحواريون فقال تعالى: ﴿**وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ آل عمران/ ٤٩. ويلاحظ تأكيد القرآن على أن خالق المعجزة هو الله تعالى، وأنها تجرى على يد عيسى تأييداً لرسالته، وأن عيسى لم يزعم أنه الخالق لهذه المعجزات بل هى من الله شأنها شأن معجزات سائر الأنبياء من قبله ومن بعده يجعلها الله على يد رسله ليؤيد بها دعوتهم(٣).

وقد قابل الإسلام المسيحية فى شبه الجزيرة العربية وكانت المسيحية منقسمة، فانقسمت الكنيسة إلى ثلاث فرق كبرى:

- الملكانية.
- اليعاقبة.
- النساطرة.

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١ ، ص٢١٢.
(٢) د. على عبد الفتاح المغربي: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة) ، ص٧٧، ٧٨.
(٣) الشهرستانى: الملل والنحل، ج١ ، ص٢٢٠. وانظر المرجع السابق، ص٨٣، ٨٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكانت الاختلافات بينهم شديدة التعقيد، وكان على علماء الإسلام أن يواجهوا هذه الفرق مجتمعة ومتفرقة، وكان مؤرخو علم الكلام كالشهرستانى قد صوروا النزاع بين هذه الفرق المسيحية على أنه يعود إلى أمرين: **أحدهما**: كيفية نزول المسيح واتصاله بأمه، وتجسد الكلمة.

والثاني: كيفية صعوده واتصاله بالملائكة، وتوحد الكلمة[1].

وهكذا اختلفت هذه المذاهب المسيحية فيما بينها، كما اختلفت بجملتها مع الإسلام، ويمكن القول بأن نقاط الخلاف كانت تتركز فى المسائل التالية:

١ - التثليث.

٢ - الاتحاد.

٣ - الصلب.

٤ - عبادة المسيح.

وقد وقف القرآن الكريم موقفاً مضاداً من هذه المسائل، وأنكر القرآن إنكاراً صريحاً قولهم بالتثليث فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ**﴾ المائدة/ ٧٣. كما عارض القرآن الكريم الاتحاد بجميع صوره، فرد على أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ المائدة/ ١٧. فالقرآن يقرر بشرية المسيح، ويوضح حقيقته، إنه رسول لبنى إسرائيل، إنسان بشر، تظهر عليه العوارض البشرية. ويعارض القرآن مسألة الصلب منكراً إياها. ومعلناً أنهم ما صلبوه وما قتلوه، ولكن شبه لهم. وبهذا حدد القرآن الكريم نهاية المسيح بإنكاره واقعة الصلب[2]. وأخبر بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ المائدة/ ٧٢.

تلك هى بإيجاز عقيدة النصارى، ويبدو فى تلك العقيدة مخالفتها لعقيدة الإسلام من حيث قول المسيحية بالتثليث، وألوهية المسيح وصلبه وقتله فداء للخطيئة الأولى التى

---

(١) الشهرستانى : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢٢-٢٢٦ . وانظر د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام ، ص١١٨، ١١٩.

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ . وانظر د. محمد صالح السيد: المرجع السابق ، ص١٢٤- ١٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توارثتها البشرية، وإنكار المسيحية لنبوة محمد (ﷺ). وقد قاوم المتكلمون المسيحية مقاومة عنيفة، وردوا عليها بالأدلة العقلية ، فنجد أن المعتزلة الأوائل قد ردوا على تلك الآراء المخالفة للإسلام، وأيضاً رد الماتريدى فى كتابه "التوحيد" على آراء النصارى، وأيضاً من الأشاعرة رد الباقلانى فى كتابه "التمهيد"، وللجوينى رسالة فى " بيان ما دفع فى التوراة والإنجيل من التبديل" ، وأيضاً نجد ابن حزم فى "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" قد عرض لمناقشة الأناجيل وتناقضها، والشهرستانى فى "الملل والنحل" عرض لبيان آراء النصارى، وابن تيمية رد فى كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وقامت مناقشات بين المسلمين والمسيحيين فى الأندلس، وقام المسلمون بتأليف الكتب والرد على حجج المسيحيين، وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)[1].

ابن الراوندى وإنكاره للرسل وإبطال رسالتهم:

لعل من أبرز هذه القلة التى انخدعت بأفكار البراهمة فى إنكار النبوة "**ابن الراوندي**" (ت ٢٥٠هـ تقريباً) الذى تابعهم فى ذلك، ودأب على الطعن فى الإسلام ومبادئه. وابن الراوندى – أحمد بن إسحاق الراوندي- من أصل يهودى نشأ فى (راوند) بالقرب من أصفهان، وقد انتقل إلى بغداد بعد نضوجه، واتصل بالمعتزلة الذين كانت لهم شهرة واسعة، ودرس مذهبهم ونبغ فيه. ولكن تنكر لهم وخرج عليهم وعلى الإسلام ومبادئه، وأخذ يثير حولها الشبهات، ولازم الملحدين ووطد صلته بهم، ويبدو أنه صار دسيسة ضد الإسلام وأتباعه، يعمل للنيل منه والطعن عليهم، وينفث فيهم سموم الزندقة والإلحاد، بهدف الإفساد فى الدين والانتقاص منه. وربما يرجع هذا الإفساد إلى ميل متأصل فيه ورثه عن أبيه الذى كان على شاكلته، ومما يدعم هذا الاحتمال ما ورد على لسان بعض اليهود المخلصين فى تحذير المسلمين منه من قولهم لهم: "ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا"[2].

وقد كتب ابن الراوندى كتباً كثيرة كلها انتقاص للإسلام ، ورجاله منها كتاب "فضيحة المعتزلة" الذى رد فيه على كتاب "فضيلة المعتزلة" للجاحظ، وكتاب "الدامغ" يعارض فيه القرآن، وكتاب "الفرند" فى الطعن على النبى (ﷺ)، وكتاب "الزمردة" فى

---

(١) د. على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل .. ودراسة) ، ص٩١، ٩٢.

(٢) د. عبد المقصود عبد الغني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص١٦، ١٧. وانظر ابن المرتضى: المنية والأمل (فرق وطبقات المعتزلة) تحقيق وتعليق د. على سامى النشار، والأستاذ عصام الدين محمد على، دار المطبوعات الجامعية ، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص٧٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنكار الرسل وإبطال رسالتهم، ولم نكن نعرف شيئاً عن هذا الكتاب لولا أن "الخياط" قد أشار فى رده على ابن الراوندى إلى الكثير من مسائله. ويرجع الفضل فى التعريف به إلى "بول كراوس" الذى اهتدى إليه فى مخطوطة من المخطوطات الإسماعيلية الموجودة فى الهند، وهذه ليست إلا جزءاً من "المجالس المؤيدة" المنسوبة إلى المؤيد فى الدين هبة الله بن أبى عمران الشيرازى، داعى الدعاة الإسماعيلى أيام الخليفة الفاطمى المنتصر بالله، وتشتمل فى جملتها على ٨٠٠ محاضرة ألقيت فى "دار العلم" بالقاهرة فى منتصف القرن الخامس الهجرى، ودرست فيها المشاكل الإسلامية على اختلافها. وفى المجلس السابع عشر إلى المجلس الثانى والعشرين، يعرض المحاضر لأقوال ابن الراوندى فى الطعن على النبوة ويعقب عليها بالنقض والرد. وهذه المجالس الستة هى التى نشرها "بول كراوس" وترجمها إلى الألمانية، وعلق عليها تعليقاً يدل على اطلاعه الواسع وبحثه العميق فى مجلة "الرفستا الإيطالية" سنة ١٩٣٤م[١].

وسواء أكانت هذه الأقوال من آثار الفكر الهندى أم من اختراع ابن الراوندى، فهى تتلخص فى إنكار للنبوات عامة، ونبوة محمد (ﷺ) خاصة، ونقد لبعض تعاليم الإسلام وعبادته، ثم رفض فى شيء من التهكم للمعجزات فى جملتها، ويزعم هؤلاء المنكرون أنه لا حاجة للنبى، لكفاية العقل وغنائه عنه، لأن العقل يغنى عن النبى والرسول، ويرون أن الله قد منح خلقه عقولاً يميزون بها الخير من الشر، ويفصلون الحق عن الباطل، وفى هدى العقل ما يغنى عن كل رسالة[٢].

فالأنبياء فى نظر ابن الراوندى ليسوا إلا سحرة، والمعجزات التى تروى عنهم قائمة على الأكاذيب التى اخترعها الأتباع ولفقوها. وقد ذكر ابن الراوندى مذهبه وآراءه فى كتاب الزمردة على لسان البراهمة، والبراهمة قوم من الهند ينكرون النبوة، فاختارهم ابن الراوندى ليجرى على لسانهم مذهبه، بالرغم من أن ابن الراوندى لم يتصل اتصالاً مباشراً بالمذاهب الهندية، إلا أن هذه المذاهب الهندية لابد أن تكون قد تسربت إلى العالم الإسلامى وعرفها ابن الراوندى وغيره بطريقة ما[٣].

---

(١) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١، ص٨٠، ٨١ . وانظر الخياط: الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد، تحقيق وتعليق د.نيبرج، دار الندوات الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٨٨م، ص٣٢- ٣٧.

(٢) د. إبراهيم مدكور: المرجع السابق ، ص٨٢.

(٣) د. فتح الله خليف: ابن الراوندى، مقالة ضمن (معجم أعلام الفكر الإنسانى) تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م ، ص١٣٤، ١٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فابن الراوندى يسير على هدى وفكر البراهمة المتطرف الذين يقولون إنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على خلقه، وأنه هو الذى يُعرف به الرب ونعمه، ومن أجله صح الأمر والنهى والترغيب والترهيب. فإن كان الرسول يأتى مؤكداً لما فيه من التحسين والتقبيح والإيجاب والحظر، فساقط عنا النظر فى حجته وإجابة دعوته، إذ قد غنينا بما فى العقل عنه، والإرسال على هذا الوجه خطأ، وإن كان بخلاف ما فى العقل من التحسين والتقبيح والإطلاق والحظر. فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته(١).

وسيراً على هذا الطريق العقلى المزعوم يرى ابن الراوندى أن بعض تعاليم الدين مناف لمبادئ العقل، كالصلاة والغسل والطواف ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة اللذين هما حجران لا ينفعان ولا يضران، وزيادة على هذا يقولون أليس الطواف بالكعبة كالطواف بغيرها من البيوت؟(٢). وقد ذهب ابن الراوندى وغيره من منكرى النبوة إلى حد اعتبار إثبات النبوة مجافياً للعدل الإلهى زاعمين أن إثباتها يفيد اختصاص وتفضيل بعض الأشخاص بها على بعض، وهذا فى رأيهم مناف للعدل(٣). وكذلك يشير ابن الراوندى إلى القول بأن الأنبياء ليسوا إلا بشراً، وعلى ذلك لا يمتازون عن بقية الناس فى شيء(٤).

ولا ريب أن هذه الأفكار والمزاعم التى أثارها ابن الراوندى والبراهمة وغيرهما من الزنادقة قد قوبلت بالإنكار والسخط من العلماء والخلفاء، وقد ذكر أن الخليفة العباسى (المهدي) قد تتبع الزنادقة من الفرس وغيرهم، وأمر علماء عصره من المتكلمين وغيرهم من علماء الإسلام ومفكريه بوضع الكتب للرد عليهم ومجادلتهم ، وكان فى مقدمتهم المعتزلة من أمثال واصل بن عطاء، وأبى الهذيل العلاف، والنظام، والجاحظ، والخياط، والقاضى عبد الجبار، وشاركهم فى ذلك غيرهم كالأشعرى، والباقلانى، والإسفراييني، والبغدادى، والجوينى، والغزالى، وفخر الدين الرازى من الأشاعرة، وكثير غير هؤلاء من

---

(١) د. إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١ ، ص٨٢. وانظر د. عبد الرحمن بدوى: من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م ، ص٨٠. وانظر القاضى عبد الجبار: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل (التنبؤات والمعجزات) ج١٥، تحقيق د. محمود الخضيرى، د. محمود محمد قاسم، مراجعة د.إبراهيم مدكور، إشراف د. طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٥ه- ١٩٦٥م ، ص١٠٩ وما بعدها.

(٢) د. إبراهيم مدكور: المرجع السابق ، ص٨٢.

(٣) د. عبد المقصود عبد العني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص١٨.

(٤) د. فتح الله خليف: ابن الراوندى، مقالة ضمن (معجم أعلام الفكر الإنساني) المجلد الأول، ص١٣٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعلام السلف كابن حنبل وابن تيمية وابن القيم. وإذا كان المتكلمون قد ذهبوا للدفاع عن عقيدة النبوة وغيرها من العقائد، فإن الفلاسفة أيضاً قد تصدوا للدفاع عنها فى وجه التيارات الهدامة، وردوا على منكرى النبوة واهتموا فى ردهم بإثبات الوحى والمعجزات[١].

ولهذا فإن حملة ابن الراوندى وغيره من منكرى النبوة، على الأديان والنبوات أثارت الأوساط الإسلامية على اختلافها، وحفزتها إلى الدفاع عن معتقداتها، فأبو على الجبائى (ت ٣٠٣هـ)، وابنه أبو هاشم الجبائى (ت ٣٢٤هـ) المعتزليان، وأبو الحسن الأشعرى (ت ٣٢٤هـ) زعيم أهل السنة، رأوا من واجبهم أن يردوا على ابن الراوندى مؤكدين صدق الرسل ووجه الحاجة إليهم. أما الإسماعيلية بوجه خاص فقد بذلوا فى هذا المضمار همة عالية ومجهوداً صادقاً، ومعظم الردود على منكرى النبوة إنما وصلت عن طريقهم، وليس هذا بغريب فإن الإسماعيلية فى تعاليمها الدينية ومبادئها السياسية تقوم على النبوة وتعتمد عليها[٢].

كل هذا قد أدى إلى قيام فريق من المسلمين يدافعون عن النبوة ضد هذه الأفكار المتطرفة وهؤلاء هم المتكلمون والفلاسفة، فلقد اطلعوا على هذه الأفكار وعرفوها معرفة كاملة، وأدركوا حقيقتها وطرق أدلتها وحجة أهلها، مما دفعهم إلى التسلح بسلاح العقل، وإقبالهم على المنطق والفلسفة لكى يستطيعوا عن طريق المنهج العقلى الرد على تلك الآراء وبيان تفاهتها، وقد أدى هذا إلى انتعاش الحركة العقلية فى الإسلام، واستخدام العقل لنصرة النقل، لإثبات العقائد الإيمانية إثباتاً عقلياً، وأن ما جاء به الدين لا يخالف العقل، بل يتفق معه ويدعو إليه[٣].

وهذا ما نوضحه فى حديثنا عن أصالة مفكرى الإسلام من متكلمين وفلاسفة فى دفاعهم عن النبوة، وردهم على الرافضين للنبوة ليثبتوا بطلان حججهم وما أثاروه من شبهات وأباطيل .

---

(١) د. عبد المقصود عبد الغنى : المرجع السابق ، ص١٩.
(٢) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١، ص٨٨، ٨٩.
(٣) د. على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة)، ص٧٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موقف المتكلمين من النبوة ودفاعهم عن الرسل

إبطال حجج المنكرين للنبوة ورد المتكلمين عليها:

إن إثبات النبوات والرسالات الإلهية للبشر من أعظم أركان الدين، ولهذا نرى علماء الكلام يخصصون مكاناً لذلك فى مؤلفاتهم، ليردوا على البراهمة وغيرهم الذين ينكرون بعثة الرسل عقلاً، إذ يجدون فى العقل الإنسانى غُنية عن الوحى الإلهى إلى رسل من البشر، ويرون هذا مستحيلاً لحجج يحتجون بها(١).

فقد كان مبحث النبوة من أهم مباحث علم الكلام، فقام المتكلمون بتفنيد قول منكرى النبوة وجاحديها مبينين حاجة البشر للرسل، ومؤكدين استحالة استغناء العقل عن السمع، بل دعاهم هذا إلى أن يخوضوا فى موضوعات تتعلق بشكل ظاهر بنظرية المعرفة ليؤكدوا استحالة خطأ المعرفة الشرعية، فى حين أن العقل أو الحس قد يصيبه الخطأ والغفلة والنسيان(٢).

وقد حاول المتكلمون البرهنة على صدق النبوة وثبوتها، وذلك من خلال الحديث عن الوحى والمعجزة، فذكروا أن الله تعالى متكلم ومريد وسميع، وما دام الله كذلك فمن الجائز أن يرسل نبياً أو رسولاً إلى عباده يبلغهم كلامه ووحيه، قياساً على ما نراه فى الشاهد إذ يرسل الرعاة والولاة رسلاً إلى رعيتهم ينقلون إليهم أوامرهم، ولكن لابد للشخص الذى يدعى النبوة أن يكون مؤيداً من قبل الله تعالى بأمر يثبت صدقه، وهذا الأمر هو المعجزة. إذن فليس فى إرسال الرسل استحالة ولاخروج عن مقتضى العقل، وليس فيه إفساد للتكليف، ولا إبطال للمحنة، ولاقلب للحقائق، ولا إلحاق نقيصة بالمرسل عز وجل، بل إن فى الرسالة تعريضاً لخلق من المكلفين لثواب عظيم، وما دام الأمر كذلك فإن إرسالهم جائز فى حق الله تعالى، وهو حكمة وعدل منه سبحانه. فالأنبياء هم الصفوة الذين اختارهم الله تعالى واصطفاهم من بين أولئك الذين أتاهم القدرة الروحية لتبليغ رسالته إلى البشر(٣). والنبوة اصطفاء إلهى لأنفس بشرية مخصوصة موهوبة للقيام بمهمة الهداية والإرشاد وتبليغ الأوامر والتوجيهات الإلهية، وهى رحمة يخص الله بها من يشاء من عباده(٤).

---

(١) د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة (فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط) دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م ، ص١٧٠.

(٢) د. محمد صالح السيد : أصالة علم الكلام ، ص١٦٤.

(٣) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص ٤٧، ٤٨، ٥٣.

(٤) المرجع السابق ، ص٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واجه المتكلمون ديناً من ديانات الهنود وهو دين البراهمة يثير مشكلات تتعلق بالثواب والعقاب، والعدل الإلهى، وإنكار للنبوة، فكان طبيعياً أن يخوضوا فى تلك الموضوعات، وخاصة ثبوت النبوة وصدقها وحاجة البشر إليها، واستحالة استغناء العقل عن الشرع. فقد اشتهر عن البراهمة القول بإنكار النبوة، وقد عرض لمذهبهم فى هذا الصدد فريق من المتكلمين كالقاضى عبد الجبار، والأشعرى، والباقلانى، والجوينى، والإسفراييني، والشهرستانى، وفخر الدين الرازى وغيرهم. ويرى هؤلاء المتكلمون أن البراهمة أنكرت النبوة بحجة أن بعثة الرسل تتنافى مع حكمة الله تعالى، لأن الحكيم لا يبعث رسولاً إلى قوم يعلم أنهم يعصونه ويصدون عن دعوته، فضلاً عن أن بعثة الرسل إذا كانت قد جاءت لإخراج الناس من الضلال إلى الإيمان، فإن الحكمة تقتضى أن يفطر الناس على الإيمان، غير أن أهم حجة لهم هى استغناؤهم بالعقول عن الأنبياء، ذلك لأن الذى يأتى به الرسل والأنبياء كما يقولون إما أن يكون معقولاً، وإما أن لا يكون معقولاً، فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه، فلا حاجة لنا إلى الرسول؟! وإن لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً، إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية[١].

ويرد "القاضى عبد الجبار" (ت ٤١٥هـ) على البراهمة فى كتابه "شرح الأصول الخمسة" مبيناً بطلان حججهم وإفساد تصورهم الذين يثبتون الصانع بتوحيده وينكرون النبوات، ويقولون إن ما أتى به الأنبياء نحو أفعال الصلاة من القيام والقعود والركوع والسجود، وأعمال الحج نحو التلبية والهرولة ورمى الجمار والطواف، كلها مستقبحة من جهة العقل منكرة، لأن كل عاقل يستقبح بكمال عقله ذلك وينكره، فيجب أن ترد ولاتقبل[٢].

وقد أشار القاضى عبدالجبار بالرد عليهم مؤكداً ثبوت النبوة وصدقها، وأن ما يقوله البراهمة ليس مقبولاً عقلاً ولا شرعاً، فالنبوة والبعثة لابد أن تكون لطفاً ورحمة للمكلفين، ولا يمكن أن يكتفى الإنسان بعقله لمعرفة ما شرعه الله من الحسن والقبح، وما يتعلق بالحساب والجزاء فى الدار الآخرة، وما يقوم به المكلفون فى الحياة الدنيا من أفعال وواجبات وفرائض. فقد جعل الله سبحانه وتعالى معجزة كل نبى مما يتعاطاه أهل زمانه، حتى جعل معجزة موسى (عليه السلام) قلب العصا حية، لما كان الغالب على أهل ذلك الزمان السحر، وجعل معجزة عيسى (عليه السلام) إبراء الأكمة والأبرص، لما كان الغالب على أهل

---

(١) د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام ، ص١٦٢- ١٦٤.
(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ، ص٥٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زمانه الطب، وجعل معجزة نبينا محمد (ﷺ) القرآن وجعله فى أعلى طبقات الفصاحة، لما كانت الغلبة للفصاحة والفصحاء فى ذلك الزمان[١].

ويعرض لنا القاضى عبد الجبار لتصور اليهود لما أنكروا نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام، فافترقوا فمنهم من قال: إنما أنكرنا نبوتهما لأنهما أتيا بنسخ شريعة موسى، وذلك يقتضى أن يصير الحق باطلاً والباطل حقاً، وذلك محال. ومنهم من قال: إن نسخ الشريعة جائز من جهة العقل إلا أن السمع منع من ذلك، وقد قال موسى (عليه السلام): شريعتى لن تنسخ أبدًا، فلهذا الوجه أنكرنا نبوة من جاء بعده. ومنهم من قال: إن نسخ الشرائع جائز من جهة العقل والشرع جميعاً، إلا أنا إنما أنكرنا نبوتهما لأنهما عدما المعجز[*] الدال على صدقهما. وفى اليهود من ذهب إلى أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان مبعوثاً، إلا أنه إنما بعث إلى العرب دون غيرهم[٢].

فرد عليهم القاضى عبد الجبار مبيناً بطلان ما يعولون عليه قائلاً: إن الشرائع ألطافاً ومصالح، وما هذا سبيله، فإنه يختلف بحسب اختلاف الأزمان والأعيان، فلا يمتنع أن يعلم القديم تعالى أن صلاح المكلفين فى زمان فى شريعة، وفى زمان آخر فى شريعة أخرى، وهذا ظاهر فيما بينا، فإن من يدبر أمر ولده ربما يعلم أن صلاحه فى الرفق مرة وفى العنف مرة، وذلك فى الأولاد الكثير أظهر، وصار الحال فى ذلك كالحال فى المرض والشفاء والحياة والموت، فكما أنه تعالى يمرضنا مرة ويشفينا أخرى كما تعلق صلاحنا بالمرض مرة وبالشفاء أخرى، كذلك ههنا لا يمتنع أن يعلم أن صلاحنا بالمرض فى أن يتعبدنا بشريعة مرة، وفى ألا يتعبدنا بها بل يتعبدنا بغيرها أخرى، فصح ذلك ما قلناه فى جواز نسخ الشرائع[٣].

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الذين أثبتوا نبوة آدم (عليه السلام) فقط، والذين أثبتوا نبوة

---

(١) المصدر السابق ص٥٧٢.

(*) المعجز فى الاصطلاح هو الفعل الذى يدل على صدق الرسول وصحة شريعته، وهو ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله وهو المعجزة. (انظر: د.حسنى زينة: العقل عند المعتزلة، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م ، ص٨٤). فالمعجزة هى الظاهرة العجيبة أو الخارقة للعادة التى لا نستطيع تفسيرها، فنقول مثلاً نجا فلان من الموت بمعجزة. (انظر د.جميل صليبا: المعجم الفلسفى، ج٢، دار الكتاب اللبنانى، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م ، ص٣٩١، ٣٩٢ . وانظر: المعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٩- ١٩٧٩م، ص١٨٦).

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ، ص٥٧٦، ٥٧٧.

(٣) المصدر السابق ، ص٥٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبراهيم (عليه السلام) فقط، وأنكروا نبوة الآخرين قد أخطأوا، ويمكن أن نقول لهم في دحض رأيهم، ما الدليل على نبوة آدم(عليه السلام)، أو نبوة إبراهيم (عليه السلام)؟ فإن قالوا: ظهرت المعجزات على أيديهما، قيل لهم وما الدليل على صحة المعجزات ونحن لم نشاهدها ولا عاصرنا أصحابها؛ فإن قالوا: الدليل على ذلك نقل من يستحيل عليه الكذب لها. قيل لهم وكذلك نقل من يستحيل عليهم الكذب صحة معجزات موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وإذن فإنهم إن أقروا بنبوة واحد من الأنبياء، فلابد أن يقروا بنبوة الجميع، لأن الطريق إلى إثبات نبوتهم واحد، وهو ما كان لكل منهم من معجزات نقلت إلينا ممن يؤمن تواطؤهم على الكذب(١).

وتأكيداً لذلك فقد أشار "الأشعري" (ت ٣٢٤هـ) في كتابه "أصول أهل السنة والجماعة" إلى دلائل نبوة محمد (ﷺ) ورد على منكرى النبوة قائلاً: قد أكد الله تعالى نبوة محمد (ﷺ) بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ الأنبياء/ ١٠٧. وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ**﴾ البقرة/ ٩٩. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾ الأحزاب/ ٤٥ - ٤٨. وقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ التغابن/ ١٢. فقد دعاهم الرسول (ﷺ) إلى معرفة الله عز وجل وإلى طاعته فيما كلف بتبليغه، وعرفهم أمر الله تعالى بإبلاغه ذلك بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ المائدة/ ٦٧. فعصمه الله منهم مع كثرتهم وشدة بأسهم، وما كانوا عليه من شدة عنادهم وعداوتهم له، حتى بلغ رسالة ربه تعالى وأدى الأمانة، وأوضح الحجة في فساد جميع ما نهاهم عنه مما كانوا عليه، ودلهم على صحة جميع ما دعاهم إلى اعتقاده وفعله بحجج الله وبيناته(٢).

ولهذا فقد عارض الأشعرى قول البراهمة بامتناع النبوة لأنه يتعارض مع القدرة

---

(١) د. عبد المقصود عبد الغني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص٨٨. وانظر الباقلاني: التمهيد (في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) ، ص١٣١. وانظر الجويني: الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد، حققه د. محمد يوسف موسى، وعلى عبد المنعم عبدالحميد، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٥٠م ، ص٣١٩.

(٢) الأشعري: أصول أهل السنة والجماعة (المسماة برسالة أهل الثغر) تحقيق د. محمد السيد الجليند، نشر مكتبة الأزهر للتراث، سلسلة التراث السلفى، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص٤٥، ٤٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإرادة الإلهيتين، فقد بدا للأشعرى أنه يستحيل فى مواجهة الإنكار العقلى البرهمى الصارم تبرير النبوة على هذا النحو. وهكذا وجد فيما تقدم من تقرير مـذهب الحكمـاء "وهـو أن الإنسان مدنى بالطبع، فلابد له من قانون عدل محتاج إلى واضع يمتاز عن بنى نوعه بما يدل على أن ما أتى به من عند ربه"، دليلاً يواجهون به إنكار البراهمة للنبوة. واللافت فى الجدال الأشعرى للبراهمة هو أن التصور البرهمى للنبوة على قانون العقل الإنسانى، جاء مناقضاً تماماً للتصور الأشعرى للنبوة على قانون الفعل الإلهى، فقد ارتبط إمكان النبوة لدى الأشعرى بإفساح المجال للقدرة الإلهية تتجلى على نحو مطلق دون اعتبار أو تحديد(١).

وإلى ذلك فقد أشار "الباقلاني" (ت ٤٠٣هـ) بالرد على هـؤلاء المنكـرين للنبـوة وتقديرهم البالغ للعقل، وإضافة هالة كبيرة عليه، حتى زعموا أنه قادر علـى إدراك كـل الحقائق بما فى ذلك حقائق العالم الغيبى، وقادر على إدراك الحسن والقبيح فـى الأشـياء وعلى معرفة جميع ما يحتاج إليه من المعارف، وهذا ما لا يمكن أن يقرهم عليه عاقـل، فالعقل كما بينا يعجز عن إدراك كثير من حقائق عالم الشهادة، فضلاً عن حقـائق عـالم الغيب. وكذلك ليس للعقل أن يحظر شيئاً أو يبيحه، لأن الحظر والإباحة ليس مـن شـأن العقل، وإنما ذلك من شأن الله عز وجل الذى يبيح ما يبيح، ويحظر ما يحظر، ثم إن ذبـح الحيوان وتسخيره ليس قبيحاً كما زعموا، لأن الله أباح ذلك لحكمة، وكل ما كـان لحكمـة فإنه لا يكون قبيحاً(٢).

وقد تحدث "الجويني" (٤١٩- ٤٧٨هـ) فى كتابه "لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهـل السنة والجماعة" عن إثبات جواز انبعاث الرسل، ورده على شبهات منكرى النبوة فيقـول: "إن الله تعالى أرسل الرسل، وبعث الأنبياء مبشرين ومنذرين، وقد أنكرت البراهمة النبـوة ومنعوا جواز انبعاث الرسل وقالوا: إن جاءت الرسل بما يدرك عقلاً، لم يكن فى إرسالهم فائدة، وإن جاءت الرسل بما لا يدرك عقلاً، فلا يقبل ما يخالف العقل"(٣). وقد بين الجوينى بطلان ما يعولون عليه المنكرون فيقول: "ثبوت النبوة لا يتوقف على نظر الناظر، بل إنما

---

(١) المصدر السابق ، ص٤١ وما بعدها. وانظر: د. على مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ ، ص١٩٧، ١٩٨.

(٢) الباقلانى: التمهيد ، ص١١٧. وانظر: د. عبد المقصود عبد الغني: المرجع السابق، ص٧٦.

(٣) الجوينى: لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تقديم وتحقيق د. فوقية حسين محمود، راجـع التحقيق د. محمود الخضيرى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م ص١٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تثبت النبوة بالمعجزات"[1].

وإذا كانت عقول هؤلاء المنكرين للنبوة قاصرة على إدراك الحكمة فى الأمور التى زعموا أن العقل يأنف منها، كالانحناء فى الركوع، والسعى بين الصفا والمروة، وما إلى ذلك، فلا يعنى هذا أنها تخلو من أى حكمة، وقد كشفت عقول مستضيئة بنور الإيمان عن وجه الحكمة فى كثير من الأوامر والفرائض الدينية التى لم يستطيعوا الوقوف على حكمتها على أنه لا يستحيل على الله تعالى أن يأمر بما لاتدرك العقول حكمته، لأن العبودية الخالصة تتمثل فى الامتثال لهذه الأوامر. ثم إننا إذا سلمنا معهم بأن الله تعالى قد أكمل العقول وحسن فيها الحسن، وقبح فيها القبيح، وجعلها قادرة على إدراك كل الحقائق، ودلالة على مصالح الخلق ومراشدهم وكل مايحتاجون إليه، فليس هناك ما يمنع من تأكيد أدلة العقول بما جاء به الرسول. إذن فالعقل لا يمكن أن يغنى عن النبى أو الرسول، بل إنه يدرك حاجته إلى النبى المعصوم الذى يضيء له الطريق، ويوضح له المعالم والحقائق، ويعصمه عن الوقوع فى الزلل، ويأخذ به إلى ساحل النجاة ورحاب الإيمان الكامل[2].

ويقول "الاسفراييني" (ت ٤٧٨هـ) مدافعاً عن النبوة ورداً على منكريها: إن الله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب، وبين الثواب والعقاب، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأوجب على لسانهم معرفة التوحيد والشريعة، وكل ما قالوه فهو صدق، وكل ما فعلوه فهو حق، والعلم الدال على وصفهم قيام المعجزات الظاهرة الدالة على صدقهم وصحة قولهم[3].

وأيد ذلك أيضاً "الشهرستانى" (ت ٥٤٨هـ) مؤكداً صدق دعوة النبوة ورده على المنكرين فيقول: إن الرب تعالى خالق الخلق ومالكهم، ومن له الأمر والخلق والملك له أن يتصرف فى عباده بالأمر والنهى، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونهيه، فيبلغ عنه إليهم، فإن من له الخلق والإبداع، له الاختيار والاصطفاء وربك يخلق ما يشاء[4].

---

(١) الجويني: الشامل فى أصول الدين، حققه وعلق عليه وقدم له هلموت كلوبفر، دار العرب للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٠.

(٢) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص٨٦- ٨٨.

(٣) أبو المظفر الاسفراييني: التبصير فى الدين، ترجمه وعلق على حواشيه الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، د. محمود محمد الخضيرى، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م ، ص١٥٤.

(٤) الشهرستانى: نهاية الإقدام فى علم الكلام، حرره وصححه ألفرد جيوم، مكتبة المتنبى، القاهرة ، د. ت ، ص٤٢٠، ٤٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويرى الشهرستانى أن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبى نفسه، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه، ولا استعداداً نفسياً يستحق به اتصالاً بالروحانيات، بل رحمة من الله تعالى ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده. فالأنبياء خيرة الله فى خلقه، وحجة الله على عباده، وأبواب رحمته، وأسباب نعمته يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، أما الرسل من الملائكة ليرسلهم إلى الأنبياء، وأما الرسل من الناس ليرسلهم إلى أممهم(١). كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ الحج/ ٧٥.

وقد قدم "**فخر الدين الرازي**" (ت ٦٠٦هـ) الأدلة التى تثبت إبطال حجج المنكرين من البراهمة والدهرية وغيرهما، وما أثاروه من شبهات وأباطيل فى دعواهم أن العقل يغنى عن النبوة، فرد عليهم مؤكداً صدق النبوة، وأن العقل لا يغنى عن إرسال الرسل، وأن التحسين والتقبيح ليسا من جهة العقل، بل لابد من شريعة ومشرع يؤكد للمكلف ما يجب استحسانه، وما يجب استقباحه، ومن هذه الأدلة ما يلي(٢):

١- فائدة بعثة الرسل لقطع عذر المكلف من كل الوجوه، فلا عذر للمكلف فى عدم معرفة الله وأوامره ونواهيه.

٢- بيان كيفية العبادة التى هى سبيل شكر المنعم، فإذا دل العقل على وجوب شكر المنعم، فإنه لا يستطيع أن يدل على كيفية ذلك الشكر، ولو ترك ذلك للعقل لتعددت العبادات واختلفت باختلاف العقول.

٣- ما فى الإنسان من سهو وغفلة وأهواء وميول وشهوات، وقد تصده هذه الأشياء عن معرفة الله، فلابد من إرسال الرسل ليبينوا له ويذكروه ويعينوه على معرفة الله.

٤- العقل قاصر عن إدراك الجزاء فى الآخرة، فهو إن علم حسن الإيمان وقبح الكفر، فلا يعلم أن من فعل القبيح عذب خالداً مخلداً فى النار.

٥- إرسال الرسل يغنى العقل عن مخاطر التجربة فى الواقع، فى معرفة الضار والنافع من الأغذية والأدوية.

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٦٢، ٤٦٣.

(٢) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية للنشر، القاهرة، د. ت، ص٢١٤- ٢١٦. وانظر د. على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة) ، ص٣١٨، ٣١٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦- حاجة الإنسان الاجتماعية لمجئ الرسل، وذلك لتنظيم المجتمع، وسن قانون العدل للجماعة الإنسانية، ولو تركوا بدون ذلك لحدث التقاتل والتنازع بينهم، فالرسالة بذلك ليست عملاً روحياً فحسب، بل هى تنظيم دنيوي، وسن الأحكام، وتأهيل الإنسان لحياته الأخروية عبر حياته الدنيوية، وتكون الدنيا ممراً إلى الآخرة.

٧- الهداية إلى الصناعات النافعة قال الله تعالى فى داود (عليه السلام) ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ**﴾ الأنبياء/ ٨٠، وقال لنوح (عليه السلام): ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ هود/ ٣٧، ولا شك أن الحاجة إلى الغزل والخياطة والبناء وما يجرى مجراها أشد من الحاجة إلى الدرع وتوقيفها على استخراجها بالتجربة خطر عظيم، فوجب بعثة الأنبياء لتعلمها.

٨- لابد فى المعيشة من علم الأحكام والسياسة فلابد من البعثة ليعلمها، ولهذا قال تعالى لنبيه: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ الأعراف/ ١٩٩، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ النحل/ ٩٠، وقال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾ آل عمران/ ١٥٩. وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ القلم/ ١٣. فقد ظهرت فوائد البعثة من هذه الوجوه.

٩- إن الذى يفعله الإنسان بمقتضى عقله يكون كفعل المعتاد، والعادة لاتكون عبادة، أما الذى يأمر به من كان معظماً فى قلبه ولا يكون هو واقفاً على سببه، كان إتيانه محض العبادة، كما ورد الأمر فى مناسك الحج.

ومن ذلك يتضح لنا حاجة الناس لرسل من عند الله يهدونهم إلى سواء السبيل، ويبلغونهم أوامر الله ونواهيه، ويعرفونهم طرق الحلال والحرام، ويحذرونهم من طرق الشر، ويخبرونهم بما أعد الله من ثواب فى جنته للمؤمنين الطائعين، وما أعد من عقاب فى ناره للجاحدين العاصين. ولا يمكن معرفة أوامر الله ونواهيه، وطرق الحلال والحرام التى حددها إلا من جهته تعالى، وقد اختار الله أقرب السبل لمعرفة ذلك بأن أوحى لطائفة من البشر اصطفاهم لحمل رسالاته للناس، وكملهم بالكمال الإنسانى، وعصمهم عن المعاصى والذنوب والانحرافات فى السلوك، وصانهم عن الخطأ فى نقل أحكام الله وشرائعه للناس، وأيدهم بتأييد معجز من عنده، كما قال تعالى: ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ النساء/ ١٦٥. ومن ذلك يتضح حاجة الناس لرسل يبلغونهم شرائع الله لخلقه[١].

---

(١) د. عبد الرحمن حنبكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص٣٠٣، ٣٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موقف الشيعة من النبوة والمعجزات:

أرادت الشيعة الرد على هؤلاء المنكرين للنبوة وإبطال حججهم، فقد ترى **الإثنا عشرية** أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن يختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين فى إنسانيتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم فى الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من دون مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة وبيان طرق السعادة والخير، لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، فترفع إلى درجاتها الرفيعة فى الدارين دار الدنيا ودار الآخرة. فالإنسان فى أشد الحاجة إلى من يرشده ويوضح له ما ينفعه ويضره فى دنياه وآخرته، ويبين له طريق الخير والصلاح والسعادة، وينذره عما فيه فساده، ويبشره بما فيه صلاحه وسعادته[١].

وتعتقد الإثنا عشرية بأن معجزة كل نبى تناسب ما يشتهر فى عصره من العلوم والفنون، فمعجزة موسى (عليه السلام) كانت هى العصا التى تلقف السحر وما يأفكون، إذ كان السحر فى عصره فناً شائعاً، فلما جاءت العصا بطل ما كانوا يعملون، وعلموا أنها فوق مقدورهم وأعلى من فنهم، وأنها مما يعجز عن مثله البشر، ويتضاءل عندها الفن. ومعجزة عيسى (عليه السلام) هى إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى، إذ جاءت فى وقت كان فيه الطب هو السائد بين الناس، وفيه علماء وأطباء لهم المكانة العليا، فعجز علمهم عن مجاراة ما جاء به عيسى (عليه السلام)[٢].

أما محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء، فلا نبى بعده ولا شريك له فى النبوة وأفضل الأنبياء، وأنه يجب الإيمان والتصديق بكل ما جاء به من عند ربه، وأنه يبلغ الأحكام الشرعية بالوحى لا بالاجتهاد، وأنه لا يجوز عليه الاجتهاد فى شيء منها[٣]. وأن معجزته الخالدة هى القرآن الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته فى وقت كان فن البلاغة معروفاً، فجاء القرآن كالصاعقة أذلهم وأدهشهم وأفحمهم، ويدل على عجزهم أنه تحداهم بإتيان عشر

---

(١) محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية، قدم له د. حامد حفنى داود، مطبعة النعمان، العراق، ١٩٦١م ، ص٤٨. وانظر د. إبراهيم محمد صقر: دراسات فى علم الكلام، ط٢، مكتبة دار العلم، القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص١٥٧- ١٥٩.

(٢) محمد رضا المظفر: المرجع السابق ص٥٢، ٥٣، وانظر د. إبراهيم محمد صقر: المرجع السابق ، ص١٥٩، ١٦٠.

(٣) السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ط٤، بيروت، ١٩٦٠م ، ص٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سور مثله فلم يقدروا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فعلمنا أن القرآن الكريم من نوع المعجز، وقد جاء به محمد (ﷺ) مقروناً بدعوى الرسالة، فعلمنا أنه رسول الله جاء بالحق وصدق به[١].

ولهذا فإن الإثنى عشرية فى بيان ردها على المنكرين للنبوة تقر بأنه يجب الإيمان بأن جميع الأنبياء والمرسلين على حق، وأن إنكار نبوتهم أو سبهم أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة، لأن ذلك يستلزم إنكار نبينا الذى أخبر عنهم وصدقهم. فمن أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، وأنكر نبوة نبينا بالخصوص[٢].

أما الإسماعيلية فقد أرادت فى مجال الرد على منكرى النبوة أن تثبت ضرورة الحاجة إلى بعث الرسل والنبوة، فقد تأثرت بالأفكار الفلسفية، إلا أن نظرية النبوة على الخصوص راقتهم إلى حد كبير وصادفت هوى فى نفوسهم، فإنها لا توضح النبوة فحسب، بل تشرح فكرة الإمامة التى قامت عليها دعوتهم. وإذا كان بعض الإسماعيلية قد أخذ على عاتقه أن يرد على منكرى النبوة، فهو فى الوقت نفسه يدفع شبهاً يمكن أن توجه إلى الإمامة. فنظرية النبوة الفارابية أساس علمى بنى عليه الإسماعيليون كثيراً من تعاليمهم، ولم يزيدوا عليها شيئاً، إلا أنهم تأولوا بعض النصوص التى سكت عنها الفارابى، فقالوا مثلاً إن جبريل هو العقل الذى يفيض على الأنبياء بالمعلومات، وإن القرآن تعبير عن المعارف التى فاضت على النبى (ﷺ) من هذا المصدر[٣].

إثبات النبوة بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم:

لقد ركز المتكلمون فى استدلالهم على القرآن الكريم باعتباره المعجزة الكبرى الباقية على الزمان والتى تعد أقوى دليل على صدق النبوة، وأول ما يتجهون فى استدلالهم على النبوة يتجهون إلى المعجزات الخارقة للعادة التى يجريها الله على يد أنبيائه ورسله، تأييداً لهم وتصديقاً، وحتى تكون حجة دامغة لا تجد العقول معها إلا الإذعان والتسليم، ومعجزات نبينا محمد (ﷺ) كثيرة منها انشقاق القمر، وتسبيح الحصى فى أصابعه الشريفة، وكلام ذراع الشاة المسمومة له، وحنين الجذع وما إلى ذلك، ولكن أعلاها

---

(١) محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص٥٣. وانظر د. إبراهيم محمد صقر: دراسات فى علم الكلام ، ص١٦٠.

(٢) د. إبراهيم محمد صقر: المرجع السابق ، ص١٦١.

(٣) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج ١ ، ص١٠٨، ١٠٩. وانظر الغزالي: فضائح الباطنية، حققه وقدم له د. عبد الرحمن بدوى، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٦٤م ، ص٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأقواها وأخلدها القرآن الكريم الذى أوحاه الله إلى نبيه. وعلى أية حال فإن وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم عديدة، لا يسمح المجال باستقصاء القول فيها، وإنما سنكتفى بلمحة عن بعض نواحى الإعجاز التى تشهد وتؤكد أن القرآن وحى إلهى، وهذه النواحى أو الوجوه يمكن إجمالها فيما يلى:

١- أسلوب القرآن ونظمه المبدع والمعجز المخالف لنظم العرب ونثرهم فى مطالعه ومقاطعه وفواصله.

٢- الأنباء الغيبية التى أخبر أنها ستحدث وتكون، وقد صدقتها الحوادث.

٣- قصص الأولين وأخبار الماضين التى حكاها القرآن.

٤- الحقائق والمعجزات العلمية[١].

ولكن يبدو أن ما أثاره المنكرون من شبهات وأباطيل قد دفع المتكلمين إلى الاستدلال على صدق هذه النبوة، وتقديم البراهين التى تؤكد ذلك وتدحض مزاعم المنكرين، حتى ترسخ هذه العقيدة فى الأذهان. والواقع أن اهتمام المتكلمين بإثبات نبوة نبينا محمد (ﷺ) يعد اهتماماً منهم فى الوقت نفسه بإثبات نبوة جميع الأنبياء السابقين، لأن فى إثبات نبوة نبينا محمد (ﷺ) والوحى المنزل عليه والمتمثل فى القرآن الكريم إثباتاً لنبوة أولئك الأنبياء، بل لا نبالغ إذا قلنا إن المدخل الحقيقى لإثبات نبوتهم وآياتهم هو ثبوت نبوة محمد (ﷺ) وعليهم جميعًا، ومعجزته الكبرى هى القرآن الكريم الذى ذكر هذه الآيات وصرح بنبوتهم. ومن الخصائص التى يتميز بها أسلوب القرآن:

١- ضرب الأمثال وذلك للتذكر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل فى تصويره بصورة المحسوس، لأن ذلك أثبت فى الأذهان وأسرع إلى إقناع الوجدان كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ الزمر/ ٢٧.

٢- التكرار فى بعض آياته بعبارات مختلفة ولكن أصل المعنى واحد، وهذا يظهر أحياناً فى بعض قصصه لبسط الموعظة، وتثبيت الحجة، وتأكيد الزجر والوعيد، ويظهر أحياناً فى بعض عباراته لبيان النعمة والتذكير بالمنعم.

٣- التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وما إلى ذلك مما يضيق المجال عن تفصيل القول فيه. فقد يعتبر أسلوب القرآن بنظمه الدقيق نمطاً فريداً فى جمال الصياغة

---

(١) د. عبد المقصود عبد الغني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص٨٩- ٩١. وانظر البغدادى: أصول الدين، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٣٨م ، ص١٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفصاحة الكلمات وروعة البلاغة، مما جعله متميزاً عن أساليب العرب وكلامهم ومناهج نظمهم[١].

ويرد "**القاضى عبد الجبار**" على ما أثاره المنكرون حول وجه الإعجاز فى القرآن الكريم فيقول: إن وجه الإعجاز فى القرآن هو أنه تحدٍ بمعارضة العرب مع أنهم كانوا هم الغاية فى الفصاحة، والمشار إليهم فى الطلاقة، وقلعهم بالعجز عن الإتيان بمثله وعدلوا عنه، لا لوجه سوى عجزهم وقصورهم عن الإتيان بمثله، فكتاب الله مشحون بآيات التحدى نحو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ الإسراء / ٨٨. وتحداهم بأن يأتوا بعشر سور فى قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ هود/ ١٣. وتحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة فى قوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ يونس/ ٣٨. وغير ذلك من الآيات العديدة التى تدل على تحدى هؤلاء عن الإتيان بمثل سور القرآن[٢].

ويبين القاضى عبد الجبار بطلان ما يعول عليه المنكرون مؤكداً إثبات النبوة بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم فيقول: إنه تعالى كما جعل القرآن معجزاً دالاً على نبوة محمد (ﷺ) فقد جعله دليلاً لنا على الأحكام، وأوجب علينا الرجوع إليه فى الحلال والحرام، فيجب الرجوع إليه والأخذ بما يوجبه ويقتضيه، والإيمان به كله مجمله ومفصله ومحكمه ومتشابهه، ووعده ووعيده، وأمره ونهيه. لأن القرآن إما أن يكون من باب الأقاصيص، أو الأوامر والنواهى، أو الوعد والوعيد، وأى ذلك كله وجب الإيمان به[٣].

أما الأقاصيص فيرى القاضى عبد الجبار أنه لابد من أن يعتقد صدق الرسول فيها، سيما وقد علمنا بدلالة العدل أنه لا يجوز عليه الكذب بوجه من الوجوه. وأما الأوامر والنواهى فكذلك إذا علمنا عدله تعالى، علمنا أنه لا يأمرنا إلا بما هو مصلحة، ولا ينهانا إلا عما هو مفسدة، فلزمنا الامتثال بأوامره، والانتهاء عن نواهيه. وكذلك الوعد والوعيد فإنا إذا كنا نعلم أنه تعالى عدل حكيم، ولا يخلف فى وعده ووعيده، فلابد من أن نعتقد أن ما وعد به المؤمنين من الثواب واصل إليهم لا محالة، وما توعد به العصاة نازل بهم[٤].

أما "فخر الدين الرازي" فقد أشار فى كتابه " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين

---

(١) د. عبد المقصود عبد الغني: المرجع السابق ، ص٨٩- ٩٣.
(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ، ص٥٨٦، ٥٨٧.
(٣) المصدر السابق ، ص٥٩٧.
(٤) المصدر السابق ، ص٥٩٧، ٥٩٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من العلماء والحكماء والمتكلمين" إلى ثبوت نبوة محمد (ﷺ) بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم، وأنه ظهر المعجز على يده، ومن ذلك ما يلي:

١- إنه أتى بالقرآن، والقرآن معجز، أما إنه أتى بالقرآن، ولم يأت به غيره فبالتواتر(*)، وأما أنه معجز فلأنه تحدى الفصحاء بمعارضته فعجزوا عنه، وذلك يدل على كونه معجزًا.

٢- إنه أخبر عن الغيب، والإخبار عن الغيب معجز.

٣- إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام بالاستدلال بأخلاقه وأفعاله وأحكامه وسيره، فإن كل واحد منها وإن كان لا يدل على النبوة ولكن مجموعها مما يعلم قطعاً أنه لا يحصل إلا للأنبياء.

٤- إخبار الأنبياء المتقدمين فى كتبهم السماوية عن نبوته(١).

ويذهب الرازى إلى أن القرآن معجز، وأن الإعجاز فى فصاحته، أما أن القرآن معجز فلأن العرب عجزوا عن معارضته رغم التحدى، لقد تحداهم الله بالقرآن فى مواضع كثيرة، ثم قطع الله بعدم قدرتهم على التحدى بقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾ البقرة/ ٢٤. ورغم هذا التحدى الذى وقع مرة بالقرآن كله، ومرة بعشر سور منه، ومرة بسورة واحدة ليبلغ التحدى منتهاه نقول: رغم هذا التحدى لم يستطع العرب معارضة القرآن، وعجزوا عن هذه المعارضة مع توفر كل أسبابها ودواعيها، لقد جاء القرآن ليطلب من العرب ترك أديانهم ورياستهم، وليوجب عليهم ما يتعب أبدانهم وينقص أموالهم، وليطالبهم بعداوة أصدقائهم، وصداقة أعدائهم بسبب الدين. ولا شك أن كلاً من هذه المطالب يكفى لأن يكون سبباً وداعياً للمعارضة لما ينطوى عليه من المشقة البالغة

(*) **التواتر**: تواترت الأحاديث والأخبار أى توالت وتتابعت وتلاحقت، وجاءت فى إثر بعض وتراً وتراً من غير أن تنقطع. مثال: أحاديث نبوية متواترة إذا كثر ورودها وتعدد رواتها إلى حد يستحيل معه التواطؤ على الكذب، وتواترت اللقاءات أى حدث بها واحد عن واحد. مثال آخر: واتر الصوم: صام يوماً واحداً وأفطر يوماً أو يومين. واتر الشيء: تابعه مع فترة تقع بينه. واتر الرسائل: أرسل بعضها إثر بعض. فالتواتر حجة يمكن الاعتماد عليها لأنها تفيد العلم. مثال: تواتر الخبر أى نقله جماعة كثيرة يمتنع اتفاقهم على الكذب. (انظر: المعجم الوسيط، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م. وانظر: التواتر: www.almaany.com) .

(١) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص٢٠٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على القلب، لا سيما على العرب الذين هم أكثر الأمم حمية[١].

أما الإعجاز فيرجع فى رأى فخر الدين الرازى إلى الفصاحة، وهذا هو رأى أكثر علماء أهل النظر الذين يضعون القرآن فى أعلى طبقات البلاغة، ولا يمكن أن نتبين المزايا الكامنة فى نظم القرآن، وفى مبادئ الآيات ومقاطعها، وفى مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة إلا بدراسة المباحث التى يشتمل عليها علم البلاغة كالمجاز، والحقيقة والاستعارة، والتشبيه والتمثيل، والتقديم والتأخير، والإيجاز والحذف، والوصل والفصل، وسائر وجوه المحاسن المعتبرة فى النظم والنثر. ولذلك كان علم البلاغة فى رأى الرازى من أشرف العلوم الدينية وأرفع المباحث اليقينية، لأنه يبحث عن دلالة القرآن على صدق الرسول وإثبات نبوته[٢].

ويشير الرازى إلى أن ظهور المعجز على يد نبينا محمد (ﷺ) ليثبت صدق نبوته، وإن الاستدلال بظهور المعجز على الرسالة يتوقف على وجوه ثلاثة:

الأول: إنه فعل الله تعالى.

الثاني: إن الله تعالى فعلها لأجل التصديق.

الثالث: إن كل من صدق الله تعالى فهو صادق[٣]

إضافة إلى ذلك يرى الرازى أن للنبى صفات ثلاثاً:

١ - **قوة العقل**: وتقتضى أن يكون كثير المقدمات، سريع الانتقال إلى المطالب من غير غلط ولا خطأ يقع له فيها.

٢ - **قوة المخيلة**: وذلك حتى يتمكن من أن يرى فى حال يقظته ملائكة الله تعالى، ويسمع كلام الله ويخبر عن الغيب.

٣ - لابد أن تكون له ميزة وخاصية يختص بها دون سائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم، هذا الأمر أو الخاصية هى المعجزة[٤].

---

(١) فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز، طبعة القاهرة، ١٣١٧هـ، ص ٥، ٧ . وانظر د. فتح الله خليف: فلاسفة الإسلام (ابن سينا- الغزالى – فخر الدين الرازى)، دار الجامعات المصرية للنشر، الاسكندرية، ١٩٧٦م ، ص٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) فخر الدين الرازي: المصدر السابق ص٧ وانظر د. فتح الله خليف: المرجع السابق، ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص٢٠٩.

(٤) فخر الدين الرازي: المباحث الشرقية، ج٢، حيدرآباد، ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م ، ص٥٢٣، ٥٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولهذا فالرسل يؤيدهم الله بالمعجزات ويجعلها دليل صدقهم، والمعجزات هى ما ينفرد الله عز وجل بالقدرة عليها، ولا يصح دخولها تحت قدرة الخلق من الملائكة والبشر والجن، وليس معنى معجز هو مايعجز عنه الخلق، بل معناه أنه مما لا يدخل تحت قدرة العباد لامتناع كونه مقدوراً لهم، واستحالة وقوعه منهم[١] .

ولقد أقر الأشاعرة بالمعجزات الحسية التى ظهرت على أيدى الرسل جميعًا، واهتموا بصفة خاصة بالمعجزات العقلية التى جاء بها محمد (ﷺ) وهى القرآن الذى يمثل أعلى أنواع المعجزات وأشدها صدقاً، إذ إنه يمتاز عن المعجزات الحسية بعدم تعرضه للشبهات التى قد يثيرها المنكرون للنبوات والمعجزات، فلقد تحدى به النبى العرب، ولو أنهم انتصروا عليه فى الحرب، ما كان ذلك دليلاً على عدم نبوته، وإنما الدليل هو الإتيان بسورة من مثله أو آية، ولكنهم عجزوا وليس فى مقدورهم[٢].

ولقد فرق الأشاعرة بين المعجزة والسحر، فالمعجزة من جنس ما يقدر الله عليه وحده، والسحر ليس كذلك فهو يقع من جنس مقدورات العباد، ولا يمكن للساحر ادعاء النبوة لأن الله سوف يكذبه فيما ادعاه[٣]. ويرد الغزالى على ذلك بأن القول بعدم تمييز المعجزة عن السحر لا يجوز، فإن أحداً من العقلاء لم يجوز انتهاء السحر إلى إحياء الموتى وقلب العصا ثعباناً، وفلق القمر، وشق البحر، وإبراء الأكمة والأبرص واليد البيضاء، وتسخير الريح والطيور، وغير ذلك من المعجزات. فالمعجزة هى الضمان لصحة النبوة والرسالة، ومتى صحت نبوته، وجب اتباعه[٤].

ولهذا فقد اشتمل القرآن الكريم على قصص الأولين من الأنبياء ومواقفهم من الأمم الماضية، وعلى معجزاتهم التى تثبت صدق نبوتهم، فإن الله تعالى قد أيد كل نبى ورسول بمعجزة، أو معجزات تدل على صدقه، وقد أخبر الله تعالى عن كثير منها فذكر قصة

---

(١) الباقلانى: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، نشرة مكارثى، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٩٨م ، ص٨، ٩. وانظر: د. على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة) ، ص٣١٩، ٣٢٠.

(٢) الباقلانى: المصدر السابق ، ص٢٦- ٢٨ . وانظر د. على عبد الفتاح المغربى: المرجع السابق . ص٣٢٠.

(٣) الباقلاني: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات ، ص٩٤- ٩٥. وانظر: د.على عبد الفتاح المغربى: المرجع السابق ، ص٣٢٠.

(٤) الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندى، القاهرة ١٩٧٢م ، ص٩٧. وانظر د. إبراهيم محمد صقر: دراسات فى علم الكلام ، ص١٥١، ١٥٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبراهيم (عليه السلام) وثورته على الأصنام وما كان من قومه والنجاة من النار، كما أفاض في قصة موسى (عليه السلام) وما كان من قومه بنى إسرائيل ومن فرعون معه كشق البحر وقلب العصا حية، واليد البيضاء، وأفاض أيضاً فى قصص يوسف، وإسماعيل، ويونس، وشعيب صلوات الله عليهم أجمعين. وفى قصة عيسى (عليه السلام) إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وكانت معجزة نوح الطوفان وخلاصه منه، ومعجزة هود الريح ، ومعجزة صالح الناقة، وقصة داود وسليمان تليين الحديد، وتسخير الريح والشياطين والطيور. وكل هذه القصص ما كان يعلمها محمد(ﷺ) ولا قومه، وإنما قصَّها الله عليه، وهذا ما يشير إليه الحق فى قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾ يوسف/ ٣. هكذا لكل نبى معجزة مخصوصة، وقد اجتمعت لنبينا محمد (ﷺ) كثير من المعجزات[١].

ويصف القرآن أنبياء الله ورسله بكل ما هم أهله من الكمال وفضائل الأعمال، مما يجعلهم مثلاً يحتذى ويقتدى به فى الفضل والنبل ومكارم الأخلاق، وذلك لأن الهدف الأول الذى قصد إليه القرآن من هذه القصص إنما هو الدلالة على ما فيها من دروس وعبر ومثل وقيم وفضائل يستضيء بهديها كل داع إلى الحق. وإذا كان القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للناس فى حياتهم الدينية والدنيوية، وللتشريع، والمعاملة، والعبادات، والعقائد والتكاليف، والتوحيد، والتأمل، وقصص الأنبياء السابقين، فقد نجد فيه أيضاً تعبيرات دقيقة وإشارات خفية إلى حقائق علمية كثيرة فى المسائل الطبيعية، والطبية، والجغرافية، والفلكية، والنفسية، فهو معجزة الرسول (ﷺ) الذى أرسل إلى الناس كافة. هذه هى أهم وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم التى تؤكد أنه وحى إلهى أيد الله به نبيه محمد (ﷺ) لتكون آياته باقية له فى كل زمان ومكان ما بقيت السموات والأرض[٢].

---

(١) د. عبد المقصود عبد الغني: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص٧١- ٧٢، ص ٩٨- ٩٩.

(٢) المرجع السابق ، ص١٠٠، ١٠١، ١٠٥. وانظر عبد الرازق نوفل: القرآن والعلم الحديث، ط٢، القاهرة ، د. ت ، ص٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دفاع فلاسفة الإسلام عن النبوة ضد منكريها

آراء الكندى فى الدفاع عن النبوة:

لقد تمثلت آراء "**الكندي**" (١٨٥ - ٢٦٥هـ) فى الدفاع عن النبوة بوجه عام، وبنبوة محمد (ﷺ) بوجه خاص، وإقامة الحجة لنصرتها وثبوتها، وذلك من خلال العديد من التساؤلات التى طرحت وحاول الكندى الإجابة عنها: هل الطريق الذى يتبعه الفلاسفة هو الطريق نفسه الذى يتبعه الأنبياء فى رسالاتهم؟ أم أننا نجد فرقاً جوهرياً بين العلم الإلهى لدى الأنبياء وبين علوم الفلاسفة؟ وهل النبى والفيلسوف يستمدان الحقائق من مصدر واحد؟ أم أن لكل منهما مصدراً خاصاً به؟ وهل طريق الفلسفة يختلف عن طريق الوحى أم أن لكل منهما طريقاً خاصاً يختلف عن الآخر تماماً؟

إننا نجد الإجابة لدى "الكندى" واضحة وصريحة، فهو يطلعنا على هذه الإجابة فى رسالته "فى كمية كتب أرسطو وما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة"، فهو ينبهنا فى هذه الرسالة على الفروق الجوهرية بين علوم الأنبياء وعلوم الفلاسفة من حيث الطرق التى تحصل بها كل منهما، ومن ناحية المصدر والخصائص، فيقول: "إن العلوم البشرية وعلوم الفلاسفة إنما هى ثمرة تكلف البحث، والحيلة، والقصد، والمعرفة، والاعتماد على الرياضيات والمنطق والعقل... أما علوم الأنبياء فيصل إليها الأنبياء والرسل عن طريق الوحى، فقد خصها الله عز وجل علواً كبيرًا، إنه بلا طلب، ولا تكلف، ولا بحث، ولا بحيلة بالرياضيات والمنطق، ولا بزمان، بل مع إرادته جل وتعالى بتطهير أنفسهم، وإنارتها للحق وبتأييده وتسديده وإلهامه ورسالاته، فإن هذا العلم خاصة للرسل صلوات الله عليهم دون البشر..." [(١)].

ويشير "الكندى" فى هذا النص إلى تلك العلوم المغايرة من حيث مصدرها ووسائلها للعلوم الإنسانية العادية، تلك هى علوم الأنبياء التى تفيض عليهم إلهاماً إلهياً من غير تكلف ولا حيلة من جانبهم، ولا اعتداد بالمنطق والرياضيات، ومن غير حاجة إلى زمان تعلم، وهذه العلوم تخالف العلوم الإنسانية لأنها فوق قدرة الإنسان العادية، ولا ترقى إليها، وهو يضرب لذلك مثلاً بما أجاب به الرسول (ﷺ) على من سأله من الكافرين فى أمر البعث قائلاً: ﴿**مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِى رَمِيمٌ**﴾ يس/ ٧٨، فرد الرسول (ﷺ): ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا**

---

(١) الكندى: رسالة "فى كمية كتب أرسطو وما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة" (ضمن رسائل فلسفية) تحقيق د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٠م ، ص٣٧٢، ٣٧٣. وانظر د. محمد صالح السيد: فلاسفة الإسلام ، ص٥١، ٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس/ ٧٩. إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ يس/٨٢[١].

ويزيد "الكندي" الأمر توضيحاً فيقدم لنا فى رسالته سالفة الذكر مثالاً يوضح لنا به خصائص كل من العلمين الإلهى والفلسفى فيقول: فإنه إن تدبر مدبر جوابات الرسل فيما سئلوا من الأمور الخفية التى إذا قصد الفيلسوف الجواب عنها بجهد حيلته التى اكتسبها بعلمه، لطول الدؤوب فى البحث، ما نجده أتى بمثلها فى الوجازة والبيان وقرب السبيل والإحاطة بالمطلوب، كجواب النبى(ﷺ)عما سأله المشركون بشأن ما علمه الله، يا محمد من يحيى العظام وهى رميم؟ فأوحى إليه الواحد الحق جل ثناؤه ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ يس/ ٧٩[٢].

ولهذا فالقول بأن النبى والفيلسوف يستمدان الحقائق من مصدر واحد وهو العقل الفعال يؤدى إلى القول بأن الحقيقة الفلسفية تستوى فى القيمة مع الحقيقة النبوية أو الدينية، وقد صرح الفارابى فعلاً بذلك باعتبار أن كلاً منهما أثر من آثار الفيض الإلهى على الإنسان عن طريق التخيل. والواقع أنه يصعب التسليم بذلك بل يستحيل، لأنه يلغى ما للدين من قداسة ومزايا تدفع الناس إلى الخضوع له، على أننا نرى أن الفلسفة مهما سمت لا يمكن أن تصل إلى إدراك الحق المطلق خاصة فى مجال القضايا الغيبية، ومن العبث والادعاء الباطل القول بأن علوم الفلاسفة كعلوم الأنبياء، فالفرق شاسع بينهما من جهات عديدة[٣].

وإن القول بتساوى النبى والفيلسوف فى رتبة المعرفة وكيفية تحصيلها، ووحدة مصدرها يفضى إلى القول باكتساب النبوة، فإذا كان فى مقدور النبى أن يتصل بالعقل الفعال بواسطة النظر والتأمل، أو بقوة قدسية على حد تعبير الفارابى، فإن النبوة تصبح ضرباً من المعرفة يمكن أن يكتسبه كثير من الناس. والواقع أن هذا يتعارض مع مبدأ الاختصاص والاصطفاء الذى قرره الله تعالى فى قوله: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ الحج/ ٧٥ . فالنبوة اصطفاء من الله تعالى وفضل يمن به على من يشاء من عباده بعد أن يعدهم ويهيئهم له، وأن من اختصه الله تعالى واصطفاه للنبوة أو الرسالة،

---

(١) الكندى: المصدر السابق ص٣٧٣. وانظر: د. محمد صالح السيد: المرجع السابق، ص٥٦، ٥٧.

(٢) الكندى: رسالة " فى كمية كتب أرسطو وما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة" ، ص٣٧٤. وانظر: د. محمد صالح: المرجع السابق ، ص٥٣.

(٣) د. عبد المقصود عبد العنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص٣٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختصه كذلك بكل ما من شأنه أن يكون عوناً له على أداء رسالته، ونجاح مهمته، من حيث إعداده وتهيئته لتحمل الأمانة، فالله تعالى يصنع أنبياءه ورسله على عينه، ويؤدبهم بأدبه[١].

هكذا يرى الكندى أن الرسل الصادقة صلوات الله عليهم إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده، وبلزوم الفضائل المرتضاه عنده، وترك الرذائل المضادة للفضائل فى ذواتها وإيثارها[٢]. فالكندى بما قدمه من آراء خاصة بالنبوة والوحى تدل على أنه ذو أصالة إسلامية دعته للدفاع عن النبوة وإقامة الحجة لنصرتها، فقد انحاز إلى جانب الدين فى مواقف عديدة، وهو يعبر عن أصالته الدينية، فهو يخصص بعض مؤلفاته للدفاع عن النبوات والوحى مع معرفته الجيدة لمذاهب اليونان وبخاصة أرسطو، إلا أننا نلاحظ أنه يقف فى أرض الدين وقفة صلبة بقدم ثابتة راسخة، يدافع عن النبوة بوجه عام، ونبوة محمد (ﷺ) بوجه خاص، ويفهم الوحى فهماً فلسفياً[٣].

جهود الفارابى فى دفاعه عن النبوة ورده على المنكرين لها:

لقد كانت فلسفة "**الفارابى**"(٢٥٩ - ٣٣٩هـ) وجهوده تتمثل فى الدفاع وتفنيد الأدلة ورد الشبهات الواردة من فريق المنكرين للنبوة، الذين يعتبرون من أصحاب النزعة العقلية المتطرفة، وهؤلاء لا يقنعهم إلا الأدلة العقلية المستندة إلى قواعد المنطق الدقيقة، وكان لهذا أثره فى الطريقة التى ينبغى أن يفسر بها الفارابى النبوة، فكان عليه أن يقدم لها أساساً عقلياً وأن يفسرها تفسيراً علمياً، حتى يستطيع أن يدحض حجة المنكرين العقليين، ويدفعهم إلى تغيير موقفهم من الإنكار إلى التسليم. ومع أن الفارابى قد استجاب لما أملته عليه تلك الظروف، فإنه لم ينس أن يرد على الشبهات التى أثارها المنكرون، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الفارابى كتب ردين أحدهما على ابن الراوندى، والآخر على أبى بكر الرازى (الطبيب) الذى قيل إنه كان ينكر النبوة[٤]، وإن كان البعض قد أشار إلى أنه لم يعثر على قول للرازى فى تراثه المنشور أو سيرته المكتوبة يستفاد منه إنكاره للنبوة أو

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٧- ٣٩. وانظر الشهرستانى: نهاية الإقدام فى علم الكلام ، ص٤٦٢ ، ٤٦٣.

(٢) الكندى: " رسالة إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى " (ضمن رسائل الكندى الفلسفية)، تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط٢، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨م ، ص٣٥.

(٣) د. محمد صالح السيد: فلاسفة الإسلام ، ص٦١. وانظر د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة ، ص٥٢.

(٤) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، ص٢٢. وانظر ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م ، ص١٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نيله منها[١]. وأياً ما كان الأمر فلم يعثر على هذين الردين، ومع هذا فإننا لا نتوقع اختلافاً كبيراً عما قدمه غيره فى الرد على أدلة المنكرين وشبهاتهم[٢].

ولكن الذى يهمنا ويعنينا فى هذا المجال تفسير الفارابى لمبدأ النبوة ورده على منكريها، والذى يتمثل فيما قدمه من دعائم عقلية للنبوة والوحى تكون سنداً وسلاحاً لها يحميها من أقاويل المضللين، فإن الأساس الذى ينطلق منه المنكرون فى إنكارهم للنبوة يتمثل فى استبعاد فكرة الوحى ومعرفة النبى بالأمور والحقائق الغيبية، لأن العقل فى نظرهم لا يستطيع أن يتصور ذلك، ومعنى هذا أن فكرة الوحى والنبوة فى رأيهم أمر ينكره العقل ويقرر استحالته، ومن هنا أراد الفارابى أن يخاطبهم بمنطقهم، وأن يثبت لهم أن الوحى والنبوة ليس مما ينكره العقل كما زعموا، فقدم تفسيراً يعتمد على أساس عقلى ونفسى جدير بأن يظفر بقبول هؤلاء الذين لا يرتضون إلا أدلة العقل ومنطقه. وقد ظن الفارابى أنه يستطيع بهذا أن يبدد أوهام هؤلاء ومن على شاكلتهم من العقليين، وأن يعيدهم إلى رحاب الدين عن طريق إقناعهم بالأساس الذى يقوم عليه وهو النبوة والوحى[٣].

ولهذا فالفارابى هو أول فيلسوف إسلامى أقبل على النبوة، فأخذ يفسرها على أسس أخلاقية وعقلية ونفسية مكوناً بذلك نظرية فى النبوة، وانتشرت فى الأوساط الفلسفية من بعده وتأثر بها أكثر من فيلسوف إسلامى وغير إسلامى[٤]. ويمكن توضيح هذه الأسس أو الجوانب لهذه النظرية على النحو التالى:

١- الجانب الأخلاقى:

وضع الفارابى السعادة كغاية قصوى يسعى الإنسان إليها مشتاقاً لها، فهى أسمى الخيرات جميعاً، وسعيه لها لابد وأن يكون طريقه ممارسة الفضائل المحمودة، وجعل النبى هو الإنسان الذى بلغ أكمل مراتب الإنسانية والسعادة. وتأكيداً من جانب الفارابى فى التزام هذه الفضائل من قبل الإنسان لابد من معلم ومرشد يرشده لهذه الفضائل والذى يسميه الخليفة أو الحاكم أو رئيس المدينة، والذى منصبه ليس منصباً سياسياً فقط كحاكم لهذه المدينة، بل أيضاً منصبًا أخلاقيًا يعلم ويؤدب ويرشد، ورئيس المدينة فوق كل صفات البشر فإنه لابد أن يسمو إلى درجة العقل الفعال ويمتزج به امتزاجاً كلياً وجزئياً. والعقل

---

(١) د. عبد اللطيف العبد: فلسفة أبى بكر الرازى، رسالة دكتوراه بدار العلوم، القاهرة.
(٢) د. عبد المقصود عبد الغنى: المرجع السابق ، ص٢٢.
(٣) المرجع السابق ، ص٢٢، ٢٣.
(٤) د. محمد صالح السيد: فلاسفة الإسلام ، ص١١٢، ١١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفعال عند الفارابى يمثل المرتبة الثالثة من المراتب الروحية لقبه بروح القدس والروح الأمين، وهو الصلة بين ما هو علوى وما هو سفلى، بين ما هو سماوى وما هو أرضى، بين الله وعبيده، وهو مصدر الشرائع والقوانين الضرورية للحياة الخلقية والاجتماعية، فهو واسطة بين الله وأنبيائه، وعنه يتلقى النبى كل الأوامر الدينية، فهو الملك الموكل بالوحى بمفهوم الإسلام(١).

والاتصال بالعقل الفعال يكون فى رأى الفارابى عن طريقين:

الأول: كسبى فيكون عن طريق العقل بالتأمل والنظر، والمجاهدات الروحية.

الثاني: وهبى حيث يكون عن طريق الهبة الإلهية، وهذا لا يكون إلا للأنبياء(٢).

٢- الجانب العقلى:

أما عن الجانب العقلى لهذه النظرية، فيمثله الطريق الأول للاتصال بالعقل الفعال، ويرى الفارابى أن الطريق إليه يكون كسبياً عن طريق العقل والتأمل والنظر وممارسة الرياضيات والمجاهدات الروحية، وبالدراسة والبحث وطول التأمل، يستطيع الحكيم الاتصال بالعقل الفعال فتسمو نفسه ويدرك عالم الأنوار عن طريق الهبة الإلهية، حيث يقذف الله فى قلبه نوراً إلهياً يستطيع إدراك الأمور وهذا حال الفيلسوف أو الحكيم(٣). ومن هنا يكون فى نظر الفارابى مصدر الحقيقة الفلسفية والدينية واحداً وهو العقل الفعال، وإن النبى والفيلسوف يستمدان علمهما من مصدر رفيع، والحقيقة النبوية والحقيقة الفلسفية هما على السواء نتيجة من نتائج الوحى، وأثر من آثار الفيض الإلهى في الإنسان عن طريق التخيل والتأمل. وبهذا استطاع الفارابى أن يمنح الوحى والإلهام دعامة فلسفية، ويثبت لمنكريها أنهما يتفقان مع مبادئ العقل ويكونان شعبة من شعب علم النفس(٤).

والواقع أن هذا الكلام يستحيل التسليم به، وقد سبق أن أشرنا أن الحقيقة الفلسفية لا

---

(١) الفارابى: التنبيه على سبيل السعادة (ضمن مجموعة رسائل) ط١، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٥هـ- ١٩١٦م ، ص٨. وانظر الفارابى: فصوص الحكم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٧م ، ص١٥٦. وانظر له أيضاً: آراء أهل المدينة الفاضلة، ط٢ مطبعة وهبة، القاهرة، ١٩٤٨م ، ص٦٦- ٦٨. وانظر المرجع السابق ، ص١١٣- ١١٦.

(٢) الفارابى: عيون المسائل (ضمن كتاب المجموع) ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م، ص٥٨- ٥٩. وانظر: د. محمد صالح: فلاسفة الإسلام ، ص١١٦، ١١٧.

(٣) الفارابى: عيون المسائل ، ص٥٨. وانظر د. محمد صالح: المرجع السابق، ص١١٦.

(٤) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١ ، ص٩٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتساوى مع الحقيقة الدينية، لأن الفلسفة مهما سمت لايمكن أن تصل إلى إدراك الحق المطلق وخاصة فى مجال القضايا الغيبية[١]- وهذا ما ذكرناه آنفاً- فالدين الحق لن يرضى بأن يقر للفلسفة المكان الأول فى بيان الحقائق[٢].

٣- الجانب النفسى:

أما عن الجانب النفسى لنظرية النبوة، فيمثله الطريق الثانى للاتصال بالعقل الفعال، فالطريق إليه يكون وهبياً، أى يكون عن طريق الهبة الإلهية وهذا لا يكون إلا للأنبياء[٣]. فميزة النبى فى رأى الفارابى أن تكون له مخيلة قوية تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال أثناء اليقظة وفى حال النوم، وبهذه المخيلة يصل إلى ما يصل إليه من إدراكات وحقائق تظهر على صورة الوحى أو الرؤيا الصادقة، وليس الوحى شيئاً آخر سوى فيض من الله عن طريق العقل الفعال[٤] .

وقد تلعب المخيلة دوراً هاماً فى علم النفس عند الفارابى: إذ تنفذ إلى نواحى الظواهر النفسية المختلفة، فهى قوية الصلة بالميول والعواطف، وذات دخل فى الأعمال العقلية والحركات الإرادية، ولها فوق هذا قدرة الابتكار، فتخلق قدراً مبتكراً من الصور الذهنية، وهو مايسميه علم النفس الحديث بالخيال المبدع، وهو الذى يستطيع أن يربط الأفكار والصور بطريقة جديدة مبتكرة، وينتج عن ذلك الأحلام والرؤى. وهنا نجد الفارابى قد سبق علماء النفس المحدثين بقوله بالمخيلة المبدعة، بجانب المخيلة الحافظة[٥].

وقد اعتنق الفارابى بعد الكندى نظرية أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ق.م) فى الأحلام وقال معه إنها أثر من آثار المخيلة ونتائجها، فلأرسطو رسالتان تحتويان على ملاحظات دقيقة فى علم النفس ونعنى بهما "رسالة الأحلام" و"رسالة التنبؤ بواسطة النوم" مما جعل تلاميذ أرسطو وأتباعه من المشائين اليونانيين يعنون بهما عناية خاصة، لأن الأحلام وتعبيرها

---

(١) انظر د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص ٣٦.

(٢) ت. ج. دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، نقله إلى العربية د. محمد عبدالهادى أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م ، ص٢٦٧.

(٣) د. محمد صالح: فلاسفة الإسلام ، ص١١٧.

(٤) الفارابى: الثمرة المرضية، نشر وتقديم فريدريك ديتريش، مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٠م ، ص٧٢. وانظر له أيضًا: فصوص الحكم ، ص٥٥. وانظر د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١ ، ص٧٦.

(٥) د. إبراهيم مدكور : المرجع السابق ، ص٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت من المسائل التى تحظى باهتمام العامة والمفكرين[١].

ولكن إذا كان الفارابى وغيره من فلاسفة الإسلام قد تأثر بأرسطو وتبنوا نظريته فى الأحلام فإنه – وكذلك غيره- قد عدل فيها وأضاف إليها إضافة جديدة ذات صبغة دينية. والواقع أن القرآن قد حدثنا عن كثير من الأحلام التى ترجع إلى إلهام أو وحى إلهى، من ذلك ما جاء فى سورة يوسف فقد طالعتنا السورة بحلم يوسف أو رؤياه التى قصها على أبيه كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ**﴾ يوسف/٤. وقصت علينا حلم الرجلين اللذين رافقا يوسف فى السجن كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الأخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ**﴾ يوسف/ ٣٦. كما قصت حلم العزيز الذى أفزعه فراح ينشد من يؤوله له كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ يوسف/ ٤٦[٢].

ويتضمن القرآن أيضاً بعض الأحلام التى جاءت صريحة ولاتحتاج إلى تأويل، كرؤيا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) الذى رأى فيها أنه يذبح ابنه فى قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا بُنَى إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ الصافات/١٠٢، وقد أخذ بهذه الرؤية فعلاً واعتبرها أمراً إلهياً، وقد أذعن ابنه له إذعاناً كاملاً. ويتضمن القرآن أيضاً الرؤيا التى رآها نبينا محمد (ﷺ) بقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ الفتح/ ٢٧. ولاريب أن مثل هذه الأحلام لا يمكن أن ترجع إلى صورة حسية مختزنة فى المخيلة، ومن ثم فإن الفارابى أرجعها إلى مصدر أعلى يمكن أن تتصل به المخيلة وهو العقل الفعال والذى يعد حلقة الاتصال بين العالمين العلوى والسفلى، وهو مصدر المعرفة الإنسانية كلها، لأن لديه كل الصور العقلية التى يمكن أن تكون عليها موجودات العالم الأرضى، وإذا اتصل الإنسان به تلقى المعرفة منه أو فاضت عليه وأشرقت فيه كما تشرق الشمس على الأجسام فتجعلها مرئية[٣].

---

(١) المرجع السابق ، ص٩٠، ٩٥. وانظر: د. عبد المقصود عبدالغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص٢٣. وانظر أيضًا:
D. Attan: The Philosophy of Aristotle, London, 1959, P. 87.

(٢) د. عبد المقصود عبد الغنى: المرجع السابق ، ص٢٥، ٢٦.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٦، ٢٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هكذا استطاع الفارابى من خلال هذه النظرية أن يثبت أن الوحى لا يعارض العقل، ويرد على هؤلاء المنكرين للنبوة أصحاب العقول المتطرفة مبيناً أن إنكارهم لفكرة الوحى والنبوة أمر يرفضه العقل تماماً، وهذا ما وضحه القرآن الكريم وثبوته للنبوة والوحى.

ولهذا فإن الفارابى فى حديثه عن النبوة لم يكن موجهاً قوله نحو من آمن بالنبوة مصدقين بما جاء فى القرآن والسنة بصددها كأهل السنة مثلاً، وإنما كان قوله موجهاً إلى من أنكر النبوة أصلاً، ولم يستند إلى أصل من كتاب أو سنة، ولم يؤمن بهما كالصابئة مثلاً التى أنكرت اتصال الروحانى بالجسمانى وغيرها من الطوائف التى أنكرت النبوة وهاجمتها، فلم يكن هناك من سبيل إلا إثبات النبوة بالعقل، ووضع الحقائق الدينية فى قوالب عقلية ليقنع المنكرين بها[1].

دفاع ابن سينا عن النبوة وبعث الرسل:

لقد دافع "**ابن سينا**" (٣٧٥- ٤٢٨هـ) عن النبوة وأفاض عليها من فصيح بيانه وقوة برهانه، ومنحها سلطاناً فوق سلطانها وقوة إلى جانب قوتها. ولكن لو تساءلنا: هل نظرية الفارابى كان لها أثر فيمن جاء بعده من فلاسفة ومفكرين؟ وهل أخذ بها ابن سينا؟ والجواب عن هذا هو أن كل فلاسفة الإسلام أخذوا بها ما عدا ابن رشد فقد سلك مسلكاً آخر، ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا شيء عن ابن باجة وابن طفيل يوضح موقفهما إزاءها، إلا أن نزعتهما الصوفية ورغبتهما الأكيدة فى التوفيق بين الفلسفة والدين تدفعنا إلى القول بأنهما كانا يسلمان بها ويدعوان إليها[2].

أما عن ابن سينا فقد اعتنقها فى إخلاص وعرضها فى صور تشبه تمام الشبه ما قال به الفارابى، وقد خلف لنا رسالة عنوانها "فى إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم" وفيها يفسر النبوة تفسيراً نفسياً سيكلوجياً، ويؤول بعض النصوص الدينية تأويلاً يتفق مع نظرياته الفلسفية، ويبدأ كالفارابى فيوضح الأحلام توضيحاً علمياً، وفى رأيه أن التجربة والبرهان يشهدان بأن النفس الإنسانية تستطيع الوقوف على المجهول أثناء النوم، فليس ببعيد عليها أن تستكشفه فى حال اليقظة. فأما التجربة والسماع فيقرران أن أشخاصاً كثيرين تنبأوا بالمستقبل بواسطة أحلامهم. وأما عقلاً فنحن نسلم بأن الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلة مثبتة فى العالم العلوى ومقيدة فى لوح محفوظ، فإذا استطاعت النفوس البشرية الصعود إلى هذا العالم والوقوف على هذا اللوح، عرفت ما فيه وتنبأت

---

(١) د. محمد صالح السيد: فلاسفة الإسلام ، ص١٢٤، ١٢٥.

(٢) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١، ص١٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالغيب. وهناك أشخاص يدركون هذا أثناء النوم عن طريق مخيلتهم، فيحلمون بأشياء كأنها حقائق ملموسة، وآخرون عظمت نفوسهم وقويت مخيلتهم، فأدركوا ما فى عالم الغيب فى حالة اليقظة كما يدركون أثناء النوم، وهؤلاء هم الأنبياء الواصلون إلى مرتبة النور والعرفان(١).

فالنبوة من موضوعات العلم الإلهى عند ابن سينا، وتقتضيها العناية الإلهية لأنها ضرورية لمنفعة الناس وخيرهم، لأن الإنسان لايستطيع أن يعيش إلا فى مشاركة أى مجتمع، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة، ولابد للمعاملة من سنة وعدل، أى قانون وشريعة، ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل، والنبى هو الذى يسن للناس سنناً بأمر الله تعالى وإذنه ووحيه، ويخاطب الناس ويلزمهم السنة والعدل. فحياة الإنسان فى الجماعة تقتضى وجود النبى لأنه من غير المعقول أن يترك الناس وشأنهم فى المشاركة، فيختلفون فى معايير العدل والظلم، فيرى كل إنسان ماله عدلاً، وما عليه ظلماً، فواجب إذن أن يوجد نبى وواجب أن يكون إنساناً، وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً لا يوجد لهم، فيتميز به عنهم، فيكون له المعجزات التى أخبرنا بها، وهذا الإنسان إذا وجد، يجب أن يسن للناس فى أمورهم سنناً بإذن الله تعالى وأمره ووحيه وإنزاله الروح المقدس عليه(٢).

ويقول ابن سينا: إن أهم ما ينبغى على النبى أن يعرفه للناس أن لهم صانعاً واحداً قادراً، وأنه عالم بالسر والعلانية، وأن طاعته حق على كل إنسان، وأن الأمر له وحده لأنه خالقهم، ويعرفهم بالمعاد، وأن الله تعالى يسعد المطيع، ويشقى العاصى، وذلك حتى يمتثل الجمهور للوحى المنزل بالسمع والطاعة(٣).

ويرى ابن سينا أن العلم الإلهى والحكمة الإلهية ليست ميسورة لكل إنسان، وعلى ذلك ينبغى للنبى أن يضرب للعامة أمثلة على قدر عقولهم ليعرفهم جلالة الله تعالى

---

(١) انظر ابن سينا: "رسالة فى إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم" (ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات) ، تحقيق وتقديم د.حسن عاصى، ط١، دار قابس، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م ، ص٩٥ وما بعدها. وانظر المرجع السابق ، ص١٠١.

(٢) ابن سينا: الشفاء (الإلهيات) ، تحقيق د. محمد يوسف موسى، و د.سليمان دنيا، و أ. سعيد زايد، راجعه وقدم له د. إبراهيم مدكور، ج٢ ، طبعة القاهرة، ١٩٣٨م ، ص٤٤١، ٤٤٢. انظر له أيضاً: النجاة (فى الحكمة المنطقية والطبيعية الإلهية) طبعة القاهرة، ١٩٣٨م ، ص١٧٥. وانظر أيضاً د. فتح الله خليف: فلاسفة الإسلام ، ص٦١.

(٣) ابن سينا: الشفاء (الإلهيات) ج٢ ، ص٤٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعظمته، وكذلك يعرفهم المعاد وكيفيته بأمثلة يفهمونها ويتصورونها، أما حقيقة المعاد فلا ينبغى أن يذكر من أمرها شيئاً إلا مجملاً فيكتفى بقوله: "إن ذلك شيء لا عين رأته، ولاأذن سمعته، وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم، ومن الألم ما هو عذاب مقيم" ولا بأس من أن يتضمن خطاب النبى إلى الناس رموزًا وإشارات لتحفز أولى الألباب للنظر والبحث فى حكمة العبادات ومنفعتها فى الدنيا والآخرة[١].

ومن هنا يتضح حاجة الناس إلى الرسل المؤيدين بتأييد من عند الله ينبهونهم ويرشدونهم، لذلك أرسل الله لهم الرسل بحكمته، وتتلخص حاجة الناس إلى الرسل فيما يلي[٢]:

١- لو ترك الناس لأنفسهم من غير تنبيه وإرشاد لظلوا فى الضلالات يتيهون، وذلك بسبب اندفاعهم وراء غرائزهم وشهواتهم وأنانياتهم، ولظلوا يتخبطون بالظلمات فى أوحال المفاهيم الباطلة، والأخلاق الفاسدة، والعادات المنحرفة، والتقاليد السيئة.

٢- إن الناس بحسب التقويم الذى فطرهم الله عليه قد خلقهم ليختبر إرادتهم، وليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ولولا أن أرسل الله إليهم الرسل مبشرين ومنذرين لكان لهم عذر وحجة عند ربهم يوم القيامة لدى محاسبتهم على كفرهم ومخالفتهم بأنه لم يرسل من ينبههم، ويدلهم على الله، ويبين لهم الفضائل، ويحذرهم من الرذائل، ولقالوا لربهم يوم الحساب يا ربنا لو أرسلت إلينا رسولاً لكنا اتبعناه ولم نخالف له أمراً، ولذلك كان الناس بحاجة إلى رسل من عند الله، ولهذا أرسل الله لهم الرسل لحكمته.

٣- الناس بحاجة فى إصلاح أفرادهم ومجتمعاتهم إلى مصلح مثالى يكون أسوة حسنة لهم، وشخصية المصلح المثالى يجب أن تتوافر فيها صفة القدوة الحسنة، والعصمة عن الخطأ فى المبادئ والعلوم التى يهتدى إليها ، والأعمال والأخلاق التى يرشد إليها ويأمر بها، ولا يمكن أن تتوافر هذه الصفات – بحسب الإحصاء البشرى- إلا فى الرسول المعصوم المؤيد من عند الله بالمعجزات الباهرات.

هكذا أراد ابن سينا من خلال ما سبق أن يرد على هؤلاء المنكرين لبعث الرسل مبيناً ضرورة حاجة الناس إلى الرسل ليبلغونهم أوامر الله وشرائعه، وليهديهم طريق الحق والخير والصواب كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ**

---

(١) المصدر السابق ، ص٤٤٢، ٤٤٣. وانظر د. فتح الله خليف: المرجع السابق ، ص٦٢.

(٢) د. عبد الرحمن حنبكة الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٣٠٧، ٣٠٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد/ ٢٥. وقوله تعالى: **﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا﴾** النساء/ ١٦٥. وقوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيمًا﴾** النساء/ ١٧٠.

موقف الغزالى من النبوة والرد على شبهات المنكرين:

لم يغفل "**الغزالي**" (٤٥٠- ٥٠٥هـ) نظرية الفارابى فى النبوة، وتحامل عليها كما تحامل على الآراء الفلسفية الأخرى، ولكنه فى تحامله لم يستطع أن يرد عليها رداً مقنعاً أو ينقضها بشكل واضح، على أنه هو نفسه بالرغم من خصومته لم ينج من أثرها، وقال بآراء تقترب منها كل القرب. فقد ناقش الغزالى فى كتابه "تهافت الفلاسفة" نظرية النبوة الفارابية ملاحظاً أن النبى يستطيع الاتصال بالله مباشرة أو بواسطة ملك من الملائكة دون حاجة إلى العقل الفعال، أو قوة متخيلة خاصة أو أى فرض آخر من الفروض التى يفترضها الفلاسفة[١].

ثم يعود الغزالى فى كتابه "المنقذ من الضلال" فيقرر أن النبوة أمر مسلم به نقلاً وعقلاً، ويكفى لتسليمها من الناحية العقلية أن نلاحظ أنها تشبه ظاهرة نفسية نعترف بها جميعاً ألا وهى الأحلام والرؤى[٢].

ومن الملاحظ هنا أن آراء الغزالى فى النبوة تحمل فى ثناياها أفكاراً فارابية واضحة، وبصرف النظر عما فى موقف الغزالى من تناقض، فإن اعتراضه على نظرية الفارابى فى النبوة لم يكن شديداً ولا قاطعاً، ولهذا لم يتردد أن يعتنقها فى مكان آخر، محاولاً دعمها على أساس من الفيض والإشراق[٣].

ونود الإشارة بأن الذى يعنينا فى هذا الأمر هو رده على هؤلاء المنكرين للنبوة والذين يضعون العقل محل النبوة، مبيناً بطلان ما يعولون عليه، فيرى الغزالى أن شبهاتهم ضعيفة، فإن النبى (ﷺ) يرد مخبراً بما لا تشتغل العقول بمعرفته ولكن تستقل بفهمه إذا عرف، فإن العقل لا يرشد إلى النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد، ولا يفرق بين المشقى والمسعد، كما لا يستقل بدرك خواص الأدوية والعقاقير، ولكنه إذا

---

(١) الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق د. سليمان دنيا، ط٤، دار المعارف بمصر، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م، ص٦٢. وانظر: د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج١، ص١٠٧.

(٢) الغزالى: المنقذ من الضلال، تحقيق د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ص٣٣.

(٣) د. إبراهيم مدكور: المرجع السابق ، ص١٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عرف فهم وصدق وانتفع بالسماع، فيجتنب الهلاك ويقصد المسعد، كما ينتفع بقول الطبيب فى معرفة الداء والدواء، فكذلك يستدل على صدق الرسول (ﷺ) بمعجزات وقرائن[١].

ويشير الغزالى فى كتابه "الأربعين فى أصول الدين" مبيناً بطلان حجج المنكرين فيقول: إنه تعالى خلق الملائكة وبعث الأنبياء وأيدهم بالمعجزات، وإن الملائكة كلهم عباده لا يستكبرون عن عبادته يسبحون الليل والنهار، وإن الأنبياء رسله إلى خلقه، وينتهى إليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحى يوحى لا عن الهوى، وإنه بعث النبى الأمى القرشى محمد المصطفى (ﷺ) برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشرعه الشرائع، وجعله سيد البشر بكمال الإيمان وشهادة التوحيد وهو قوله لا إله إلا الله مقترنة بها شهادة الرسول محمد(ﷺ)، وألزم الخلق تصديقه فى جميع ما أخبر به عنه فى أمر الدنيا والآخرة، وألزمهم اتباعه والاقتداء به فقال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ الحشر/ ٧، فلم يغادر شيئاً يقربهم من الله سبحانه إلا أمر به ودلهم على سبيله، ولا شيئاً يقربهم إلى النار ويبعدهم عن الله تعالى إلا نهاهم عنه وعرفهم طريقه، وإن ذلك أمور لا يرشد إليها مجرد العقل والرأى والذكاء بل هى أسرار يكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الأنبياء، والحمد لله على ما أرشد وهدى وأظهر من أسمائه الحسنى وصفاته العليا [٢].

ولذلك كان الناس بحاجة إلى قادة من رسل يتحلون بجميع الكمالات الإنسانية ويكونون الأسوة الحسنة لجميع الناس، ولذلك أرسل الله الرسل المعصومين عن الخطأ فى تبليغ الشريعة وعن المعصية فى السلوك، وقد تبين القرآن الكريم المصلحة من إرسالهم، وحاجة الناس إليهم لمعرفة أحكام الشريعة وليقوم الناس بالعدل بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ طه/ ١٣٤. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ المائدة/ ٦٧[٣].

ولهذا يرى الغزالى أن العلم اللدنى أفضل بكثير من الحكمة الإنسانية، لأن هذا العلم موحى به من قبل الله تعالى، وإن النبوة لاترجع إلى صفات وخصائص مكتسبة، وإنما هى ترجع إلى اصطفاء الله لعباده، فهى فطرية فطر الله النبى عليها وطهره وفضله على سائر

---

(١) الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص٩٦. وانظر: د. إبراهيم صقر: دراسات فى علم الكلام ، ص١٥٠.
(٢) الغزالى: الأربعين فى أصول الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د. ت ، ص١٦، ١٧.
(٣) د. عبد الرحمن حنبكة الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص٣٠٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين. ومن هنا فقد أعلى الغزالى من شأن المعرفة العقلية إذا قورنت بالمعرفة الحسية، لكنه لم يعل من شأنها إذا قورنت بالمعرفة النبويـــة[١].

دفاع ابن رشد عن الرسل والأنبياء ووجه الحاجة إليهم:

لم يسلك "**ابن رشد**" (٥٢٠- ٥٩٥هـــ) فى حديثه عن النبوة مسلك الفلاسفة السابقين وخاصة الفارابى وابن سينا، ولم يهتم بالحديث عن الاتصال بالعقل الفعال، بل سلك مسلكاً آخر، وحاول من خلاله البرهنة على ضرورة بعث الرسل والأنبياء ووجه الحاجة إلـــيهم، وإن ما قدمه من أفكار وآراء يعتبر رداً على المنكرين، لأن توضيح الحقيقة يعد أبلـــغ رد على منكريها[٢].

ولم يشأ ابن رشد أن يكون مقلداً لا للأشاعرة، ولا للمعتزلة فى استخدام المعجـــزات المادية دليلاً على النبوة، فهو يرى أن المعجزات مثل إبراء الأكمهّ والأبـــرص، وانقـــلاب العصا حية معجزات برانية تصلح لإقناع الجمهور الذى يرى أن من تظهر على يديه هذه الأمور الخارقة للعادة، لابد أن يكون صادقاً فى ادعائه للرسالة. أما المعجز الحقيقى فـــى نظر ابن رشد وهو المعجز الذى يسميه "الأهلى والمناسب" أو المعجـــز الجـــوانى، فهـــو التشريع الذى جاءت به الكتب المقدسة، ويتجلى ذلك بصفة واضحة فى القرآن الكريم إلى جانب صفات النبوة التى تحققت فيمن نزلت عليهم هذه الكتب السماوية[٣].

ويفرق ابن رشد بين نوعين من المعجز هما المعجز البرانى والمعجـــز الجـــوانى، وهو لا يرفض أياً منهما بل يسلم بهما معاً مع وضع المعجـــز الجوانـــى فى مرتبة أعلى من المعجز البرانى نظراً لاعتماده - فيما يرى ابن رشـــد- علـــى البرهـــان لا الإقنـــاع

---

(١) الغزالى: معارج القدس فى مدارج معرفة النفس، المكتبة التجارية الكبـــرى، القـــاهرة، د. ت، ص١٢٤. وانظر د. فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية فى المشرق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٠م ، ص٤٤٣.

(٢) د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة ، ص٤٢، ٤٦.

(٣) ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة (ضمن كتاب فلاسفة ابن رشد) ط دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٢م ، ص١٠٤. وانظر له أيضاً: تهافت التهافت، تحقيق د. سليمان دنيـــا، القـــسم الثـــانى، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م ، ص٧٧٠. وانظر د. محمود قاسم: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد (تراث الإنسانية) المجلد الثانى، ص١٦٥. وانظر أيضاً: د. محمود قاسم: ابن رشد، مقالة ضمن (معجم أعلام الفكر الإنسانى)، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المـــصريين، المجلـــد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م ، ص١٤٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالمعجز البرانى[1].

فالمعجز البراني: عبارة عن أشياء لا تعدو أن تكون حوادث فردية، جاءت لتقريب الأمور إلى قلوب الجماهير والتأثير فيهم مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى (عليه السلام)، ودلالة إحياء الموتى على نبوة عيسى(عليه السلام)، ومعجزة إبراهيم (عليه السلام) حين أنقذه الله من احتراق النار، ومعجزة إسماعيل وغيرها من المعجزات، فهذا المعجز أعد للذين يسلكون مسلك الإقناع، وإن كانت أفعالاً لا تظهر إلا على أيدى الأنبياء وهى مقنعة عند الجمهور.

أما المعجز الجواني: عبارة عن أشياء تدل دلالة قطعية يقينية على وجود الرسول وشريعته وصفة القطع واليقين فيه مستمدة من كونها مناسبة للصفة التى من أجلها وصف إنسان ما أنه رسول أو نبى، فدلالة القرآن على نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليست هى مثل دلالة انقلاب العصا حية على نبوة موسى(عليه السلام)، ولا إحياء الموتى على نبوة عيسى(عليه السلام)، وإبراء الأكمة والأبرص. فالقرآن الكريم هو المعجزة الحقيقية، وذلك ليس فقط لما مثله من تحد لفصاحة العرب وقدرتهم اللغوية التى عجزت عن الإتيان بمثله ولو اجتمعت الإنس والجن وكان بعضهم لبعض ظهيراً، وإنما هو معجز بتشريعه، وما وضعه من أسس وقواعد للحياة البشرية، فهو معجزة خالدة باقية لكل زمان ومكان. كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ الإسراء/٥٥[2].

ولهذا نجد أن تفرقة ابن رشد بين المعجز الجوانى والمعجز البرانى قامت على أساس رأيه فى التوفيق بين العقل والشرع. فالمعجز الجوانى إذا كان لأهل البرهان، فإن المعجز البرانى قد أعد للذين يسلكون مسلك الإقناع. وإذا شاء ابن رشد أن يحدد اعتماد الشرع على أى نوع من المعجزات، نادى بالمعجز الجوانى، وهذا يقوم على إدراكه لكون معجزة الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي القرآن. وإذا كانت هناك حوادث خارقة للعادة فهذه الحوادث أشياء ثانوية تمثل المعجز البرانى الذى ضرب أساساً لأهل الإقناع[3].

---

(١) ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، ص١٠٤. وانظر د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤م ، ص١٥٨.

(٢) ابن رشد: المصدر السابق ، ص١٠٠- ١٠٤. وانظر د. إبراهيم محمد صقر: قضايا فى الفلسفة الإسلامية، ط١، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص٢٢٧- ٢٢٩.

(٣) د. عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م ، ص٣٥٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد اعتمد ابن رشد فى دفاعه عن ضرورة بعث الرسل والأنبياء وصدقهم والاقتداء بهم فى سيرهم وضرورة الحاجة إليهم على أصلين[1]:

الأصل الأول:

إن الصنف الذى يسمونه رسلاً وأنبياء معلوم وجوده بنفسه، وإن هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بوحى من الله لابتعلم إنسانى، وذلك أنه ليس ينكر وجودهم إلا من أنكروا وجود الأمور المتواترة.. وتتمثل دلالة القرآن الكريم على هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ النساء/ ١٦٣ - ١٦٤.

الأصل الثاني:

إن كل من وجد عنه هذا الفعل الذى هو وضع الشرائع بوحى من الله فهو نبى، وهو أن محمداً (ﷺ) قد وجد منه فعل الرسل، وهو وضع الشرائع للناس بوحى من الله. ولذلك نبه القرآن الكريم على هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِينًا**﴾ النساء/ ١٧٤. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ**﴾ النساء/ ١٧٠. وقوله تعالى: ﴿**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ النساء/ ١٦٢. وقوله تعالى: ﴿**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ النساء/ ١٦٦.

ويشير ابن رشد إلى أن الوجوه أو الأسباب التى من أجلها اعتبر القرآن خارقاً ومعجزاً من نوع الخارق الذى يدل دلالة قطعية على صفة النبوة هي كالتالي:

١- أن يعلم أن الشرائع التى تضمنها من العلم والعمل ليست مما يمكن أن يكتسب بتعلم بل بوحى.

٢- ما تضمنه من الإعلام بالغيوب.

---

(١) ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، ص٩٨، ٩٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- من نظمه الذى هو خارج عن النظم الذى يكون بفكر وروية[١].

وابن رشد لم يرفض أياً من المعجزات، وإن كان يفضل اعتبار القرآن هو المعجزة الحقيقية التى ينبغى إقرارها، وذلك لأنها تنطوى فيما أتى على شيئين رئيسين:

الأول: إن القرآن من جنس الأفعال المعتادة، وذلك عكس مفهوم المعجز، ومن هنا يأتى إعجازه.

الثاني: إنه باق وليس مثل غيره من المعجزات الوقتية التى ترتبط بحدث معين ووقت معين، بل هو باق لجميع الأوقات وشامل لجميع الأحداث[٢].

فالقرآن من وجهة نظر ابن رشد ليس فقط معجزة بمصطلحاته، أو بأسلوبه الفياض باللغة العربية كما يرى المترجمون، ولكن من وجهة نظره أنه يوضح للإنسان والبشر طريق الهداية والإرشاد والفضيلة والسعادة لكل الأجيال بطريقة ذات فاعلية، وأن أى شيء يمكن إدراكه بالرجوع إليه[٣].

هكذا استطاع ابن رشد من خلال عرضه لتفسير النبوة والمعجزات أن يرد على هؤلاء المنكرين مبطلاً حججهم وأفكارهم المتطرفة، فى إنكارهم لبعث الرسل والأنبياء مؤكداً إثبات صدق النبوة ووجه الحاجة إليها بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم.

ولكن لو تساءلنا: هل كل ما ذكرناه من إبطال لأقوال المنكرين وتعويلهم على العقل بدلاً من النبوة وإرسال الرسل يعنى هجوماً على العقل؟

مما لا شك فيه أنه ليس هجوماً على العقل، ولكن هجوم على المعارضين للنبوة وإحلالهم العقل محل النبوة والرسل، فهذا باطل وغير مقبول شرعاً ولا عقلاً، فلا يمكن للإنسان الاستغناء عن إرشاد الرسل والأنبياء، فالعقل لا يمكن أن يسير دون شريعة وأحكام أتى بها الرسل والأنبياء، فكيف يمكن للعقل وحده أن يعرف أحكام الحلال والحرام، والحسن والقبيح، والواجبات والفرائض، وما يجب اتباعه، وما يجب البعد عنه، وما غير ذلك من الأمور الشرعية.

فعقيدة الإيمان بالله لا تنفك عن الإيمان برسله، لأن من مقتضى الإيمان بالله تصديق

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠٠.

(٢) المصدر السابق ، ص٩٨. وانظر د. إبراهيم محمد صقر: قضايا فى الفلسفة الإسلامية ، ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) د. إبراهيم محمد صقر: المرجع السابق ، ص٢٢٧. وانظر:
Kojan (B): Averroes and the Metaphysics of Causation, State University, New York press, 1985, p. 85.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤيدين بتأييد من عنده بمختلف صور التأييد الربانى، الذى لا يمكن أن يكون من الله تعالى إلا لرسله الدالين عليه، والمبلغين لشريعته ودينه بصدق. ولأن من مقتضى الإيمان بالله تصديقه فى كل ما يخبرنا به، وهذا يقتضى الإيمان برسله الذين أخبر عنهم فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ثم إن الإيمان بواحد من الرسل لا ينفك عن الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الصادقين، فموجب الإيمان فى الكل واحد. لذلك يعلن المسلم دائماً وفق عقيدته التى متى أخل بها كفر، أنه لا يفرق بين أحد من رسل الله وأنبيائه فى الإيمان، فهو يؤمن بهم جميعاً دون تفريق، ويعظمهم جميعاً لأنهم أنبياء الله المصطفين عنده[1].

لذلك يجب اتباعهم وتصديقهم والاقتداء بهم فى سيرهم كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ**﴾. النساء/ ١٧٠. وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً**﴾ النساء/ ١٧٤.

(١) د. عبد الرحمن حنبكة الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص٢٩٦، ٢٩٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمــة

يمكن إجمال أهم نتائج البحث فى النقاط الآتية:

١- في ضوء مناقشتنا لقضية الرافضين والمدافعين أظهــرت الدراســة قيمــة الجهــود والردود التى بذلها هؤلاء المدافعون بالحجج والأدلة العقلية والشرعية مؤكدين صدق النبوة بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم . فقد استطاع هؤلاء المدافعون أن يثبتوا أن النبوة والبعثة لابد أن تكون لطفاً ورحمة للمكلفين ، ولا يمكــن أن يكتفــى الإنــسان بعقله لمعرفة ما شرعه الله . فكل ما قــدموه مــن آراء وأفكــار يعتبــر رداً علــى الرافضين للنبوة مبينين بطلان حججهم وفساد تصورهم ، وأن كل ما ذكــروه لــيس مقبولاً عقلاً ولا شرعاً .

٢- لقد تبين أن ابن الراوندى يسير على هدى وفكر البراهمة المتطرف، ولا ريب أن هذه الأفكار والمزاعم التى أثارها ابن الراوندى والبراهمة وغيرهم من الزنادقة قد قوبلت بالإنكار والسخط من العلماء والخلفاء، وقد ذكر أن الخليفة العباسى (المهدى) قد تتبع الزنادقة من الفرس وغيرهم، وأمر علماء عصره من المتكلمين وغيرهم من علمــاء الإسلام ومفكريه للرد على هؤلاء ومجادلتهم، وكان فى مقدمتهم المعتزلة من أمثــال واصل بن عطاء، وأبى هذيل العلاف، والنظام، والجاحظ، والخياط، والقاضى عبــد الجبار، وشاركهم فى ذلك غيرهم كالأشعرى، والباقلانى، والإسفراييني، والبغــدادى، والجوينى، والغزالى، وفخر الدين الرازى من الأشاعرة، وكثير غير هؤلاء من أعلام السلف كابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم، فقاموا بتفنيد قول منكرى النبوة وجاحديها مبينين حاجة البشر للرسل، ومؤكدين استحالة استغناء العقل عن النبوة .

٣- وتأكيداً لذلك فإن حملة ابن الراوندى وغيره مــن منكــرى النبــوة علــى الأديــان والنبوات، أثارت الأوساط الإسلامية على اختلافها، وحفزتهــا إلــى الــدفاع عــن معتقداتها، فأبو على الجبائى، وابنه أبو هاشم الجبــائى المعتزليــان، وأبــو الحــسن الأشعرى زعيم أهل السنة رأوا من واجبهم أن يردوا على ابن الراونــدى مؤكــدين صدق الرسل ووجه الحاجة إليهم. أما الإسماعيلية بوجه خاص فقد بذلوا فــى هــذا المضمار همة عالية ومجهوداً صادقاً، ومعظم الردود على منكرى النبوة إنما وصلت عن طريقهم، وليس هذا بغريب فإن الإسماعيلية فــى تعاليمهــا الدينيــة ومبادئهــا السياسية تقوم على النبوة وتعتمد عليها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- لا شك أن هذه النزعة المتطرفة من قبل الرافضين للنبوة أدت إلى قيام فريق من المسلمين يدافعون عن النبوة ضد هذه الأفكار المتطرفة وهؤلاء هم الفلاسفة، فلقد اطلعوا على هذه الأفكار وعرفوها معرفة كاملة، وأدركوا حقيقتها وطرق أدلتها وحجة أهلها مما دفعهم إلى التسلح بسلاح العقل وإقبالهم على المنطق والفلسفة لكى يستطيعوا عن طريق المنهج العقلى الرد على تلك الآراء وبيان تفاهتها، وقد أدى هذا إلى انتعاش الحركة العقلية فى الإسلام، واستخدام العقل لنصرة النقل، لإثبات العقائد الإيمانية إثباتاً عقلياً، وأن ما جاء به الدين لا يخالف العقل بل يتفق معه ويدعو إليه. وإذا كان المتكلمون قد ذهبوا للدفاع عن عقيدة النبوة وغيرها من العقائد، فإن الفلاسفة أيضاً قد تصدوا للدفاع عنها فى وجه التيارات الهدامة، وردوا على منكرى النبوة، واهتموا فى ردهم بإثبات الوحى والمعجزات.

٥- نلاحظ أن الكندى بما قدمه من آراء خاصة بالنبوة والوحى تدل على أنه ذو أصالة إسلامية دعته للدفاع عن النبوة وإقامة الحجة لنصرتها وثبوتها، فقد انحاز إلى جانب الدين فى مواقف عديدة، وهو يعبر عن أصالته الدينية، فهو يخصص بعض مؤلفاته للدفاع عن النبوات والوحى مع معرفته الجيدة لمذاهب اليونان وبخاصة أرسطو، إلا أننا نلاحظ أنه يقف فى أرض الدين وقفة صلبة بقدم ثابتة راسخة، يدافع عن النبوة بوجه عام، ونبوة محمد (ﷺ) بوجه خاص، ويفهم الوحى فهماً فلسفياً.

٦- لقد أراد الفارابى تفسير مبدأ النبوة ورده على منكريها، والذى يتمثل فيما قدمه من دعائم عقلية للنبوة والوحى تكون سنداً وسلاحاً لها يحميها من أقاويل المضللين، فإن الأساس الذى ينطلق منه المنكرون فى إنكارهم للنبوة يتمثل فى استبعاد فكرة الوحى ومعرفة النبى بالأمور والحقائق الغيبية، لأن العقل فى نظرهم لا يستطيع أن يتصور ذلك، ومعنى هذا أن فكرة الوحى والنبوة فى رأيهم أمر ينكره العقل ويقرر استحالته، ومن هنا أراد الفارابى أن يخاطبهم بمنطقهم، وأن يثبت لهم أن الوحى والنبوة ليس مما ينكره العقل كما زعموا، فقدم تفسيراً يعتمد على أساس عقلى ونفسى جدير بأن يظفر بقبول هؤلاء الذين لا يرتضون إلا أدلة العقل ومنطقه. وقد ظن الفارابى أنه يستطيع بهذا أن يبدد أوهام هؤلاء ومن على شاكلتهم من العقليين، وأن يعيدهم إلى رحاب الدين عن طريق إقناعهم بالأساس الذى يقوم عليه وهو النبوة والوحى.

٧- أما ابن سينا فقد دافع عن النبوة وأفاض عليها من فصيح بيانه وقوة برهانه، ومنحها سلطاناً فوق سلطانها، وقوة إلى جانب قوتها، فقد رد على هؤلاء المنكرين لبعث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسل مبيناً ضرورة حاجة الناس إلى الرسل ليبلغوهم أوامر الله وشرائعه، فالنبوة عنده من موضوعات العلم الإلهى، وتقتضيها العناية الإلهية لأنها ضرورية لمنفعة الناس وخيرهم، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا فى مشاركة أى مجتمع، ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة، ولابد للمعاملة من سنة وعدل أى قانون وشريعة، ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل، والنبى هو الذى يسن للناس سنناً بأمر الله تعالى وإذنه ووحيه، ويخاطب الناس ويلزمهم السنة والعدل. فحياة الناس فى الجماعة تقتضى وجود النبى لأنه من غير المعقول أن يترك الناس وشأنهم فى المشاركة، فيختلفون فى معايير العدل والظلم، فيرى كل إنسان ما له عدلاً، وما عليه ظلماً، فواجب إذن أن يوجد نبى ليهديهم طريق الحق والخير والصواب.

٨- يرى الغزالى فى رده على هؤلاء المنكرين للنبوة والذين يضعون العقل محل النبوة مبيناً بطلان ما يعولون عليه، أن شبهاتهم ضعيفة، فإن النبى (ﷺ) يرد مخبراً بما لا تشتغل العقول بمعرفته، ولكن تستقل بفهمه إذا عرف. ولهذا فإن العلم اللدنى عند الغزالى أفضل بكثير من الحكمة الإنسانية، لأن هذا العلم موحى به من قبل الله تعالى، وإن النبوة لا ترجع إلى صفات وخصائص مكتسبة، وإنما هى ترجع إلى اصطفاء الله لعباده، فهى فطرية فطر الله النبى عليها وطهره وفضله على سائر العالمين. ومن هنا فقد أعلى الغزالى من شأن المعرفة العقلية إذا قورنت بالمعرفة الحسية، لكنه لم يعل من شأنها إذا قورنت بالمعرفة النبوية.

٩- لعل ما قدمه ابن رشد من أفكار وآراء يعتبر رداً على المنكرين لأن توضيح الحقيقة يعد أبلغ رد على منكريها، ولهذا فإن تفرقة ابن رشد بين المعجز الجوانى والمعجز البرانى قامت على أساس رأيه فى التوفيق بين العقل والشرع. فالمعجز الجوانى إذا كان لأهل البرهان، فإن المعجز البرانى قد أعد للذين يسلكون مسلك الإقناع، وإذا شاء ابن رشد أن يحدد اعتماد الشرع على أى نوع من المعجزات، نادى بالمعجز الجوانى فهو التشريع الذى جاءت به الكتب المقدسة، وهذا يقوم على إدراكه لكون معجزة الرسول (ﷺ) هي القرآن الكريم. وإذا كانت هناك حوادث خارقة للعادة، فهذه الحوادث أشياء ثانوية تمثل المعجز البرانى الذى ضرب أساساً لأهل الإقناع.

١٠- لقد استطاع المتكلمون والفلاسفة إثبات النبوة بالمعجزات المؤيدة بالقرآن الكريم باعتباره المعجزة الكبرى الباقية على الزمان والتى تعد أقوى دليل على صدق النبوة. فقد يصف القرآن أنبياء الله ورسله بكل ما هم أهله من الكمال وفضائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأعمال، مما يجعلهم مثلاً يحتذى ويقتدى به فى الفضل والنبل ومكارم الأخلاق، وذلك لأن الهدف الأول الذى قصد إليه القرآن من هذه القصص التى اشتمل عليها، إنما هو الدلالة على ما فيها من دروس، وعبر، ومثل، وقيم، وفضائل يستضيء بهديها كل داع إلى الحق.

١١- وإذا كان القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للناس فى حياتهم الدينية، والدنيوية، وللتشريع، والمعاملة، والعبادات، والعقائد، والتكاليف، والتوحيد، والتأمل، وقصص الأنبياء السابقين، فقد نجد فيه أيضاً تعبيرات دقيقة وإشارات خفية إلى حقائق علمية كثيرة فى المسائل الطبيعية والطبية والجغرافية والفلكية والنفسية، فهو معجزة الرسول (ﷺ) الذى أرسل إلى الناس كافة. هذه هى أهم وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم التى تؤكد أنه وحى إلهى أيد الله به نبيه محمد (ﷺ) لتكون آياته باقية له فى كل زمان ومكان ما بقيت السموات والأرض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١- ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

٢- ابن الجوزى: تلبيس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٣- ابن المرتضى: المنية والأمل (فرق وطبقات المعتزلة) تحقيق د.على سامى النشار، والأستاذ عصام الدين محمد على، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤- ابن النديم: الفهرست، المطبعة المحمدية، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

٥- ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ١، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لنبان، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٦- ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة (ضمن كتاب فلسفة ابن رشد) ط دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٢م.

٧- ابن رشد: تهافت التهافت: تحقيق د. سليمان دنيا، القسم الثانى، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٨- ابن سينا: الشفاء (الإلهيات) ، تحقيق د. محمد يوسف موسى، و د. سليمان دنيا، و أ. سعيد زايد، راجعه وقدم له د. إبراهيم مدكور، جـ٢، طبعة القاهرة، ١٩٣٨م.

٩- ابن سينا: النجاة (فى الحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية) طبعة القاهرة، ١٩٣٨م.

١٠- ابن سينا: "رسالة فى إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم" ضمن تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات، تحقيق وتقديم د. حسن عاصى، ط١، دار قابس، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١١- أبو المظفر الإسفراييني: التبصير فى الدين، ترجمه وعلق على حواشيه الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، و د. محمود محمد الخضيرى، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٢- الأشعرى: أصول أهل السنة والجماعة (المسماه برسالة أهل الثغر) تحقيق د. محمد السيد الجليند، نشر مكتبة الأزهر للتراث، سلسلة التراث السلفى، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣- الباقلانى: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، نشرة مكارثى، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م.

١٤- الباقلانى: التمهيد (فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) تحقق الأب تشرد مكارسى اليسوعى، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م.

١٥- البغدادى: أصول الدين، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٣٨م.

١٦- البغدادى: الفرق بين الفرق، ط١، دار الآفاق الحديثة، بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

١٧- الجوينى: الإرشاد إلى قواطع الأدلة وأصول الاعتقاد، حققه د.محمد يوسف موسى، وعلى عبد المنعم عبدالحميد، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٥٠م.

١٨- الجوينى: الشامل فى أصول الدين، حققه وعلق عليه وقدم له هلموت كلوبفر، دار العرب للنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٩- الجوينى: لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تقديم وتحقيق د. فوقية حسين محمود، راجع التحقيق د. محمود الخضيرى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٢٠- الخياط: الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد، تحقيق وتعليق د. نيبرج، دار الندوات الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٨٨م.

٢١- الشهرستانى: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، جـ١، جـ٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٢- الشهرستانى: نهاية الإقدام فى علم الكلام، حرره وصححه ألفرد جيوم، مكتبة المتنبى، القاهرة، د. ت.

٢٣- الغزالى: الأربعين فى أصول الدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د. ت.

٢٤- الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندى، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢٥- الغزالى: المنقذ من الضلال، تحقيق د.عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

٢٦- الغزالى: تهافت الفلاسفة، تحقيق د. سليمان دنيا، ط٤، دار المعارف بمصر،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م.

٢٧- الغزالى: فضائح الباطنية، حققه وقدم له د. عبد الرحمن بدوى، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٦٤م.

٢٨- الغزالى: مجموعة رسائل الإمام الغزالى (الحكمة فى مخلوقات الله عزوجل، معراج السالكين) ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٩- الغزالى: معارج القدس فى مدارج معرفة النفس، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د. ت.

٣٠- الفارابى: آراء أهل المدينة الفاضلة، ط٢، مطبعة وهبة، القاهرة، ١٩٤٨م.

٣١- الفارابى: التنبيه على سبيل السعادة (ضمن مجموعة رسائل) ط١، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٥هـ- ١٩١٦م.

٣٢- الفارابى: الثمرة المرضية، نشر وتقديم فريدريك ديتريش، مطبعة بريل، لندن، ١٨٩٠م.

٣٣- الفارابى: عيون المسائل (ضمن كتاب المجموع) ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م.

٣٤- الفارابى: فصوص الحكم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٧م.

٣٥- القاضى عبد الجبار: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل (التنبؤات والمعجزات) جـ١٥، تحقيق د. محمود الخضيرى، و د. محمود محمد قاسم، مراجعة د. إبراهيم مدكور، إشراف د. طه حسين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

٣٦- القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم، تحقيق وتقديم د. عبد الكريم عثمان، ط٢، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٧- الكندى: " رسالة إلى المعتصم بالله فى الفلسفة الأولى " (ضمن رسائل الكندى الفلسفية) تحقيق وتقديم وتعليق د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، ط٢، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨م.

٣٨- الكندى: رسالة "فى كمية كتب أرسطو وما يحتاج إليه فى تحصيل الفلسفة" (ضمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسائل فلسفية) تحقيق د. محمد عبدالهادى أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٠م.

٣٩- سيف الدين الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، ط١، نشرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٤٠- فخر الدين الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٤١- فخر الدين الرازى: المباحث الشرقية، جـ٢، حيدرآباد، ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م.

٤٢- فخر الدين الرازى: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية للنشر، القاهرة، د. ت.

٤٣- فخر الدين الرازى: نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز، طبعة القاهرة، ١٣١٧هـ.

ثانياً: المراجع العربية:

٤٤- د. إبراهيم محمد صقر: دراسات فى علم الكلام، ط٢، مكتبة دار العلم، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤٥- د. إبراهيم محمد صقر: قضايا فى الفلسفة الإسلامية، ط١، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤٦- د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٧- د. أبو الوفا التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.

٤٨- أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ١، النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

٤٩- د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى، نهضة مصر، ١٩٧٤م.

٥٠- د. أحمد شلبى: اليهودية، نهضة مصر، ١٩٨٤م.

٥١- السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ط٤، بيروت، ١٩٦٠م.

٥٢- ت. ج. دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، نقله إلى العربية د.محمد عبد الهادى أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٣- د. حسنى زينة: العقل عند المعتزلة، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

٥٤- د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤م.

٥٥- د. عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

٥٦- عبد الرازق نوفل: القرآن والعلم الحديث، ط٢، القاهرة، د.ت.

٥٧- د. عبد الرحمن بدوى: من تاريخ الإلحاد فى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.

٥٨- د. عبد الرحمن حنبكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥٩- د. عبد اللطيف العبد: فلسفة أبى بكر الرازى، رسالة دكتوراه بدار العلوم، القاهرة.

٦٠- د. عبد المقصود عبد الغنى: موقف الفلاسفة والمتكلمين من منكرى النبوة، مكتبة الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٦١- د. على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م .

٦٢- د. على عبد الفتاح المغربى: الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل.. ودراسة) ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٦٣- د. على مبروك: النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م.

٦٤- د. فتح الله خليف: ابن الراوندى، مقالة ضمن (معجم أعلام الفكر الإنسانى) تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٦٥- د. فتح الله خليف: فلاسفة الإسلام (ابن سينا – الغزالى- فخر الدين الرازى) دار الجامعات المصرية للنشر، الاسكندرية، ١٩٧٦م.

٦٦- د. فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية فى المشرق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٠م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٧- د. فيصل بدير عون: علم الكلام ومدارسه، مكتبة سعيد رأفت للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٧م.

٦٨- محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية، قدم له د. حامد حفنى داود، مطبعة النعمان، العراق، ١٩٦١م.

٦٩- د. محمد صالح السيد: أصالة علم الكلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

٧٠- د. محمد صالح السيد: فلاسفة الإسلام، د. ت.

٧١- د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة (فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط) دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.

٧٢- د. محمود قاسم: ابن رشد، مقالة ضمن (معجم أعلام الفكر الإنسانى) تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٧٣- د. محمود قاسم: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد (تراث الإنسانية) المجلد الثاني.

ثالثًا: المعاجم العربية:

٧٤- المعجم الفلسفى، مجمع اللغة العربية، الهيئة العام لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧٥- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٧٦- المعجم الوسيط، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.

٧٧- د. جميل صليبا: المعجم الفلسفى، جـ٢، دار الكتاب اللبنانى، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.

٧٨- معجم أعلام الفكر الإنسانى، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

79- D. Attan: The Philosophy of Aristotle, London, 1959.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

80- Kojan (B): Averroes and the Metaphysics of Causation, State University, New York Press, 1985.

خامساً: المعلومات المستقاة من شبكة المعلومات:

81- Fatwa.islamweb.net.
82- https://saaid.net.
83- www.almaany.com.
84- www.awqaf.gov.
85- www.islamway.net.
86- www.mawdoo3.com.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com